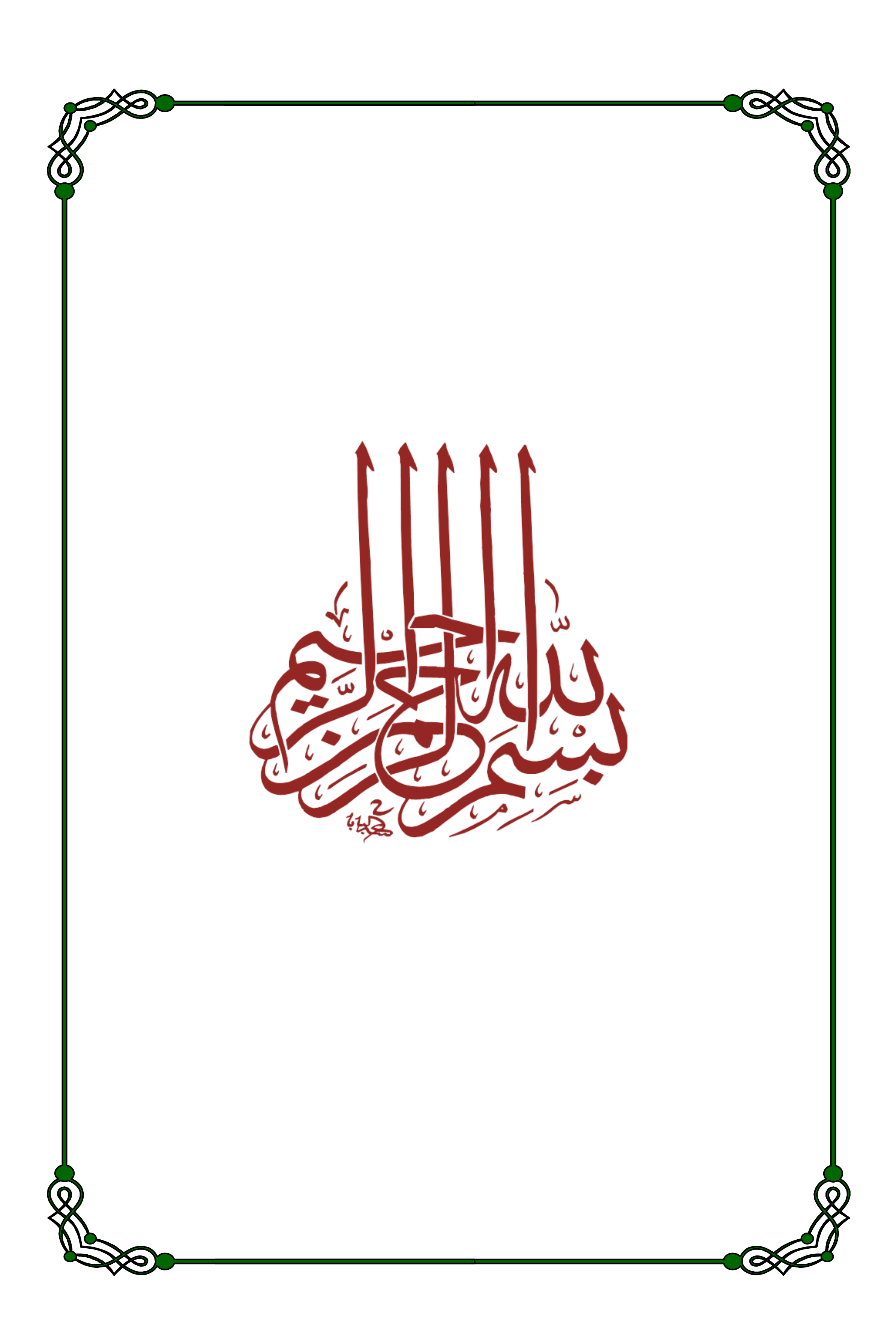
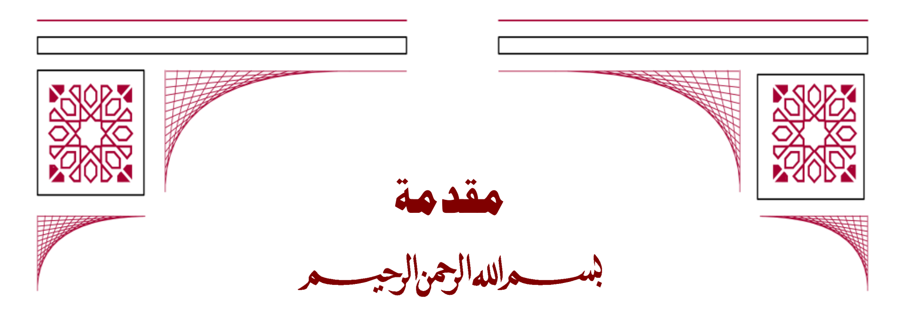


تأليف

د. لطفي بن خميس أبو خشيم


بسم الله الرحمن الرحیم



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضلَّ له، ومَنْ يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[(١)]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[(٢)]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[(٣)]

أما بعد:

فهذا بحث مختصر في إثبات وجود الله تعالى بين طريقة القرآن الكريم -وهي الطريقة التي أخذ بها سلف الأمة وأتباعهم- وبين طريقة المتكلمين الذين أثبتوا وجود الله تعالى بأدلة نظرية ومقدمات عقلية.

والقرآن وحده لمن جعل الله له نورًا أعظمُ آية ودليل وبرهان على هذه

---

(١) [سورة آل عمران:١٠٢].

(٢) [سورة النساء:١].

(٣) [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

المطالب، وليس في الأدلة أقوى ولا أظهر ولا أصح دلالةً منه مِنْ وجوه متعددة جدًّا، كيف وقد أرشد ذوي العقول والألباب فيه إلى أدلة هي للعقل مثل ضوء الشمس للبصر، لا يلحقها إشكالٌ، ولا يغيرُ في وجه دَلالتها إجمالٌ، ولا يعارضها تجويزٌ واحتمال، تلج الأسماع بلا استئذان، وتحل من العقول محل الماء الزلال من الصادي الظمآن، فضلُها على أدلة أهل العقول والكلام كفضل الله ﷻ على الأنام، لا يمكن لأحد أن يقدح فيها قدحًا يوقع في اللبس إلا إن أمكنه أن يقدح بالظهيرة صحوا في طلوع الشمس.

ومِنْ عجيب شأنها: أنها تستلزم المدلول استلزامًا بيّنًا، وتنبه على جواب المعترض تنبيها لطيفًا، ففيها إقامة الدلالة والجواب عن المعارضة والشبهة، وهذا الأمر إنما هو لمن نوَّر الله ﷻ بصيرته وفتح عين قلبه لأدلة القرآن وآتاه فهما في كتابه، فلا يعجب مِنْ منكر أو معترض أو معارض.

وقل للعيون العُمي للشمس أعين ... سواك تراها في مغيب ومطلع
وسامح نفوسًا أطفأ الله نورها ... بأهوائها لا تستفيق ولا تعي

فأي دليل على الله سبحانه أصح من الأدلة التي تضمنها كتابه؟! كقوله:

- ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1]
- وقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2]
- وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا

(١) [سورة إبراهيم: ١٠].
(٢) [سورة البقرة: ٢٨].

لَكُمْ ﴾(١)

❁ وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٢)

❁ وقوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾(٣)

❁ وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٤)

❁ وقوله: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾(٥)

---

(١) [سورة البقرة: ٢١ – ٢٢].

(٢) [سورة البقرة: ١٦٤].

(٣) [سورة يونس: ٣١ - ٣٢].

(٤) [سورة الرعد: ٢-٤].

(٥) [سورة الجاثية: ٣ – ٦].

- وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾(١).

- وقوله ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾(٢)

- وقوله: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ

(١) [سورة الروم: ٢٠ – ٢٥].

(٢) [سورة الزخرف: ٩ – ١٤].

وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾(١)

❁ وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(٢)

❁ وقوله: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾(٣)

❁ وقوله: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾(٤)

❁ وقوله: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا﴾(٥)

---

(١) [سورة النمل: ٥٩ – ٦٤].

(٢) [سورة الأعراف: ٥٤].

(٣) [سورة يس: ٣٣ – ٤٤].

(٤) [سورة الطارق: ٥ – ٧].

(٥) [سورة عبس: ٢٤ – ٣١].

۞ وقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾[(١)]

إلى أضعاف أضعاف ذلك، كما ذُكر في سورة ق والذاريات والطور والرحمن والمرسلات وإبراهيم والحجر والنحل، فتأمل أدلة «سورة النحل» من أولها إلى قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝٨٢ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[(٢)]

وما ذُكر في سورة لقمان، والسجدة، و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ﴾[(٣)] وآخر الغاشية، وسورة البلد، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾[(٤)] وما ذكر في سورة الأنعام، وسورة الصافات، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والفرقان مِنَ الأدلة التي هي للبصائر كالشمس للأبصار، فأبَى المتكلمون إلا دليل الجواهر والأعراض، والحركة والسكون، والاجتماع والافتراق.

ولعمر الله، لم يزل إيمان الخلق صحيحًا حتى حدثت هذه الأدلة المبتدعة الباطلة، فأوقعت الأمة في العناء الطويل، وفرقت الكلمة، وعارضت بين العقل والوحي، وألقت بينهم العداوة والتباغض والتلاعن، حتى استحل بعضهم مِنْ بعض ما لم يستحل مثلها المحاربون للإسلام وأهله، وحتى فتح على النصوص باب التحريف والتأويل، ورُميت بأنها أدلة لفظية لا تفيد اليقين، وساءت ظنون

---

(١) [سورة النبأ: ٦ – ١٦].

(٢) [سورة النحل: ٨٢ – ٨٣].

(٣) [سورة الإنسان:١].

(٤) [سورة الشمس:١].

أتباع هؤلاء بوحي رب العالمين.

وهذا كلُّه ببركة هذه الطريق المخالفة للسمع والعقل، فالله سبحانه نهج لعباده الطريق الموصلة إلى معرفته والإقرار بأسمائه وصفاته وأفعاله، فأعرض عنها هؤلاء واشتقوا طريقًا موصلة إلى تعطيل الخالق ونفي أسمائه وصفاته وأفعاله، وقالوا للناس: لا يتم إيمانكم ومعرفتكم بالصانع إلا بهذه الطريق، فلما سلكها مَنْ سلكها أدت به إلى ما أسره الحيرة والشك والتأويل والتجهيل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل(١).

هذا، ويشتمل البحث على ثلاثة مباحث وذكر خلاصة لها:

المبحث الأول: طريقة القرآن في إثبات وحدانية الله تعالى في ربوبيته.

المبحث الثاني: طريقة القرآن في إثبات وحدانية الله تعالى في ألوهيته.

المبحث الثالث: طريقة المتكلمين في الاستدلال على إثبات وجود الله تعالى.



(١) «الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة» (٣/ ١١٩٩- ١٢٠٦).



المبحث الأول
طريقة القرآن
في إثبات وحدانية اللّه تعالى في ربوبيته

إن المتأمل والمتتبع للآيات القرآنية يجد أن الأدلة والبراهين التي ذكرها الله تعالى في محكم كتابه للدَّلالة على تفرده بالربوبية لم تكن مقصودة لذاتها؛ لأن الإقرار بربوبية الله تعالى وتصرفه في هذا الكون أمرٌ فُطر عليه الخلق، وقد وُجد شذوذٌ من الخلق ممن ينكر وجود الله -تبارك وتعالى- مكابرة وعنادًا، وإن كانوا يقرون به في قرارة أنفسهم.

ومن الذين قص علينا القرآن مكابرتهم ومعاندتهم في إثبات وجود الله -تبارك وتعالى-: "النمرود" الذي حاجه إبراهيم عليه السلام، وكذا فرعون الذي قال لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] وإن كان هؤلاء الشذوذ الذين ذكر لنا القرآن عنهم أنهم يعاندون في إثبات الخالق -جل وعلا- قد دحضت حجتهم عند محاجة الرسل؛ فلأجل أن مَنْ أنكر وجود الله تعالى شذاذ من الناس، فإن الاستدلال على وجود الله تعالى في القرآن لم يكن مقصودًا بنفسه، وإنما لأجل من انصرفت فطرهم وانتكست فهومهم، **وقد سلك القرآن مع هؤلاء مسلكين في الرد عليهم:**

(١) [سورة الشعراء: ٢٣].

○ المسلك الأول: مسلك الإلزام والرد على من انحرفت فطرهم[(١)].

فمن الإلزام: قوله -تبارك وتعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾[(٢)]

فإنه مِنَ المعلوم في بدائه الفطر امتناعُ كونهم حدثوا مِنْ غير مُحدِث، وامتناع كونهم أحدثوا أنفسهم، فعُلم أن لهم محدثًا أحدثهم[(٣)].

والطريقة المذكورة في القرآن هي الاستدلال بحدوث الإنسان وغيره من المحدثات المعلوم حدوثها بالمشاهدة، ونحوها على وجود الخالق سبحانه وتعالى، فحدوث الإنسان يُستدل به على المحدِث[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن هذا تقسيم حاصر يقول: أخُلقوا من غير خالق خلقهم؟! فهذا ممتنع في بداهة العقول، أم خَلقوا أنفسهم؟! فهذا أشد امتناعًا؛ فعُلم أن لهم خالقًا خلقهم. وهو سبحانه ذكر الدليل بصيغة استفهام الإنكار؛ ليبين أن هذه القضية التي استدل بها فطرية بديهية مستقرة في النفوس لا يمكن لأحد إنكارها؛ فلا يمكن صحيح الفطرة أن يدعي وجود حادث بدون محدث أحدثه، ولا يمكنه أن يقول: هذا أحدث نفسه»[(٥)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتأمل هذا الترديد والحصر المتضمن لإقامة الحجة بأقرب طريق وأفصح عبارة، يقول تعالى: هؤلاء مخلوقون بعد أن لم يكونوا، فهل خُلقوا مِنْ غير خالق خلقهم؟! فهذا من المحال الممتنع عند كل مَنْ له فهم وعقل

---

(١) انظر: «كتاب ابن حزم وموقفه من الإلهيات» (ص١٣٨-١٥٠).
(٢) [سورة الطور: ٣٥].
(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٣/ ٢٢١).
(٤) المصدر السابق (٧/ ٢١٩).
(٥) «مجموع الفتاوى» (٩/ ٢١٢).

أن يكون مصنوع من غير صانع، ومخلوق من غير خالق.

ولو مر رجل بأرض قفر لا بناء فيها، ثم مر بها فرأى فيها بنيانًا وقصورًا وعمارات محكمة؛ لم يتخالجه شك ولا ريب أن صانعًا صنعها وبانيًا بناها.

ثم قال: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾(١) وهذا أيضًا من المستحيل أن يكون العبد موجدًا خالقًا لنفسه؛ فإن مَنْ لا يقدر أن يزيد في حياته بعد وجوده وتعاطيه أسباب الحياة ساعة واحدة ولا أصبعًا ولا ظفرًا ولا شعرةً، كيف يكون خالقًا لنفسه في حال عدمه.

وإذا بطل القسمان تعين أن لهم خالقًا خلقهم وفاطرًا فطرهم، فهو الإله الحق الذي يستحق عليهم العبادة والشكر، فكيف يشركون به إلهًا غيره وهو وحده الخالق لهم.

فإن قيل: فما موقع قوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾(٢) من هذه الحجة؟

قيل: أحسن موقع؛ فإنه بيّن بالقسمين الأولين أن لهم خالقًا وفاطرًا وأنهم مخلوقون، وبيّن بالقسم الثالث أنهم بعد أن وُجدوا وخُلقوا فهم عاجزون غير خالقين، فإنهم لم يَخلقوا نفوسهم ولم يخلقوا السموات والأرض، وأن الواحد القهار الذي لا إله غيره ولا رب سواه هو الذي خلقهم وخلق السموات والأرض، فهو المتفرد بخلق المسكن والساكن، بخلق العالم العلوي والسفلي وما فيه»(٣).

---

(١) [سورة الطور:٣٥].

(٢) [سورة الطور: ٣٦].

(٣) «الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة» (٢/ ٤٩٣-٤٩٤).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الاستدلال عليهم بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق أو الخروج عن موجب العقل والدين.

وبيان ذلك: أنهم منكرون لتوحيد الله ﷻ، مكذبون لرسوله ﷺ؛ وذلك مستلزم لإنكار أن الله ﷻ خلقهم.

وقد تقرر في العقل مع الشرع أن الأمر لا يخلو من أحد ثلاثة أمور: إما أنهم خُلقوا من غير شيء، أي: لا خالق خلقهم، بل وُجدوا من غير إيجاد ولا موجد، وهذا عين المحال.

أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضًا محال؛ فإنه لا يتصور أن يوجدوا أنفسهم؛ فإذا بطل هذان الأمران وبان استحالتهما؛ تعين القسم الثالث أن الله ﷻ خلقهم، وإذا تعين ذلك عُلم أن الله تعالى هو المعبود وحده الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له تعالى»(١).

والذين انحرفت فطرهم هم الذين أنكروا الخالق تبارك وتعالى، فقال الله عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾(٢) فأنكروا البعث، وأنكروا أن يكون لهم رب يبعثهم، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾، أي: ليس لهم يقين يدل على صحة قولهم، سواءٌ كان هذا العلم خبرًا، أو كان حجة وبرهانًا عقليًّا، ثم بيَّن الله أنهم في اعتقادهم الذي نطقوا به بألسنتهم شاكون مرتابون، وهذا أمر واضح لاتباعهم الظن(٣).

(١) «تفسير السعدي» (ص٨١٦).
(٢) [سورة الجاثية: ٢٤].
(٣) انظر: «جامع البيان» للطبري (١٣/ ٢٥/ ١٥٣).

ويقال لهؤلاء ما قالت الرسل لأممهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[١] وهل يُستدل عليه بدليل هو أظهر للعقول مِنْ إقرارها به وبربوبيته.

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل[٢]

وقول الرسل لأممهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[٣] هذا يحتمل شيئين:

أحدهما: أفي وجوده تعالى شك؛ فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة، ولكن قد يعرض لغيرها شك واضطراب، وأكثر ذلك على سبيل المكابرة والاستهزاء، فيجب إقامة الحجة عليهم للإعذار إليهم، ولهذا قالت لهم رسلهم ترشدهم إلى طريق معرفته، فقالوا: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٤] الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق؛ فإن شواهد الحدوث الخلق والتسخير ظاهرة عليهما، فلا بد لهما من خالق وهو الله الذي لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه.

والمعنى الثاني في قولهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[٥] أي: أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك؛ وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له، فإن غالب الأمم كانت مقرة بالخالق، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم.

---

(١) [سورة إبراهيم:١٠].

(٢) انظر: «الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة» (٤/ ١٢٢١).

(٣) [سورة إبراهيم:١٠].

(٤) [سورة الأنعام:١٤].

(٥) [سورة إبراهيم:١٠].

والجواب لهذا الاستفهام على كلا المعنيين: لا، أي: لا شك فيه[١].

○ المسلك الثاني: مسلك المحاجة ودحض باطلهم:

وهذا المسلك سلكه أنبياء الله تبارك وتعالى في مناظرتهم لأولئك المعاندين، فقد قص علينا القرآن محاجة إبراهيم عليه السلام للنمرود المكابر، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾[٢] أي: انظر إلى جراءته وتجاهله وعناده ومحاجته فيما لا يقبل التشكيك، وما حمله على ذلك إلا ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾، فطغى وبغى ورأى نفسه مترئسًا على رعيته، فحمله ذلك على أن حاج إبراهيم عليه السلام في ربوبية الله عز وجل، فزعم أنه يفعل كما يفعل الله عز وجل، فقال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾، أي: هو المنفرد بأنواع التصرف، وخص منه الإحياء والإماتة؛ لكونهما أعظم أنواع التدابير، ولأن الإحياء مبدأ الحياة الدنيا، والإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة، فقال ذلك المحاج: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ ولم يقل: أنا الذي أحيي وأميت؛ لأنه لم يَدَّعِ الاستقلال بالتصرف، وإنما زعم أنه يفعل كفعل الله عز وجل ويصنع كصنعه، فزعم أنه يقتل شخصًا فيكون قد أماته، ويستبقي شخصًا فيكون قد أحياه.

فلما رآه إبراهيم عليه السلام يغالط في مجادلته ويتكلم بشيء لا يصلح أن يكون شبهة، فضلًا عن كونه حجة، اطرد معه في الدليل، فقال إبراهيم عليه السلام: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾، أي: عيانًا يقر به كل أحد حتى ذلك الكافر ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾، وهذا إلزام له بطرد دليله إن كان صادقًا في دعواه،

---

(١) انظر: «معارج القبول بشرح سلم الوصول» (١/ ١٠٦).
(٢) [سورة البقرة: ٢٥٨].

فلما قال له أمرًا لا قوة له في شبهة تشوش دليله، ولا قادحًا يقدح في سبيله ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾، أي: تحير فلم يُرجع إليه جوابًا وانقطعت حجته وسقطت شبهته(١).

ومَنْ تأمل موقع الحجاج وقطع المجادل فيما تضمنته هذه الآية: وقف على أعظم برهان بأوجز عبارة؛ فإن إبراهيم عليه السلام لما أجاب المحاج له في الله عز وجل بأنه الذي يحيي ويميت، أخذ عدو الله معارضته بضرب من المغالطة، وهو أنه يقتل مَنْ يريد ويستبقي مَنْ يريد، فقد أحيا هذا وأمات هذا، فألزمه إبراهيم على طرد هذه المعارضة أن يتصرف في حركة الشمس من غير الجهة التي يأتي الله عز وجل بها منها، إذا كان بزعمه قد ساوى الله عز وجل في الإحياء والإماتة.

فإن كان صادقًا فليتصرف في الشمس تصرفًا تصح به دعواه، وليس هذا انتقالًا من حجة إلى حجة أوضح منها، كما زعم بعض النظار، وإنما هو إلزام للمدعي بطرد حجته إن كانت صحيحة(٢).

ومِنَ المناظرات التي ذكرها لنا القرآن لأولئك المعاندين: ما ذكره الله -تبارك وتعالى- من مناظرة موسى لفرعون؛ حيث قال الله تعالى عن فرعون أنه كان يقول لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾(٣) فتابعه قومه على ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾(٤) فسأل فرعون موسى فقال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٥) أي: مَنْ هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟!

---

(١) انظر: «تفسير السعدي» (ص١١١).
(٢) «الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة» (٢/ ٤٩٠- ٤٩١).
(٣) [سورة القصص: ٣٨].
(٤) [سورة الزخرف: ٥٤].
(٥) [سورة الشعراء: ٢٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف»[١]،فعند ذلك قال موسى عليه السلام لما سأله عن رب العالمين: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآ﴾، أي: خالق جميع ذلك ومالكه والمتصرف فيه وإلهه لا شريك له، هو الذي خلق الأشياء كلها؛ العالم العلوي وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات المنيرات، والعالم السفلي وما فيه من بحار وقفار وجبال وأشجار وحيوانات ونباتات وثمار، وما بين ذلك من الهواء والطير، وما يحتوي عليه الجو، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، أي: إن كانت لكم قلوب موقنة وأبصار نافذة، فعند ذلك التفت فرعون إلى مَنْ حوله فقال: ﴿أَلَا تَسۡتَمِعُونَ﴾ على سبيل التهكم والاستهزاء، فقال لهم موسى: ﴿رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، أي: خالقكم وخالق آبائكم الأولين الذين كانوا قبل فرعون وزمانه ﴿قَالَ﴾، أي: فرعون لقومه: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾، أي: ليس له عقل في دعواه أن ثم رب غيري ﴿قَالَ﴾، أي: موسى لأولئك الذين أوغر إليهم فرعون ما أوغر مِنَ الشبهة، فأجاب موسى بقوله: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾، أي: هو الذي جعل المشرق مشرقًا تطلع منه الكواكب، والمغرب مغربًا تغرب فيه الكواكب؛ ثوابتها وسياراتها مع هذا النظام الذي يسخرها فيه ويقدرها، فإن كان الذي يزعم أنه ربكم وإلهكم صادقًا، فليعكس الأمر وليجعل المشرق مغربًا والمغرب مشرقًا، ولهذا لما غُلب فرعون وانقطعت حجته عدل إلى استعمال جاهه وقوته وسلطانه[٢].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٣٨).

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٣/ ٣٢١-٣٢٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال له موسى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[(١)]

وهذه الإرادة الفاسدة هي الهوى الذي يصد عن معرفة الحق، وهو مرض في القلب يمنع ما فُطِرَ عليه من صحة الإدراك والحركة، كما يمنع مرض العين ما فُطِرت عليه من صحة الإدراك والحركة، وكذلك المرض في سائر الأعضاء، فهؤلاء الذين يجدون في أنفسهم علمًا ضروريًّا وقصدًا ضروريًّا لمن هو فوق العالم، قد مرضت قلوبهم وفسدت فطرتهم، ففسد إحساسهم الباطن كما يفسد الإحساس الظاهر مثل المرة التي تفسد الذوق والحول، والعشَى الذي يفسد البصر وغير ذلك، ولهذا إنما يكون الاعتبار في هذا بذوي الفطر السليمة»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأشهر مَنْ عُرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون، وقد كان مستيقنًا في الباطن، كما قال له موسى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[(٣)]

وقال تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[(٤)]

ولهذا قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ على وجه الإنكار له، قال له موسى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا

(١) [سورة الإسراء: ١٠٢].
(٢) «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (٤/ ٥٦٣).
(٣) [سورة الإسراء: ١٠٢].
(٤) [سورة النمل: ١٤].

بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[(١)]

وقد زعم طائفة أن فرعون استفهم استفهام استعلام، فسأله عن الماهية، وأن المسؤول عنه لَمَّا لم يكن له ماهيةٌ؛ عجز موسى عن الجواب.

وهذا غلط، وعلى هذا التقدير: يكون استفهم استفهام إنكار وجحد، كما دل سائر آيات القرآن على أن فرعون كان جاحدًا لله نافيًا له، لم يكن مثبتًا له، طالبًا للعلم بماهيته.

فلهذا بيَّن له موسى أنه معروف، وأن آياتِه ودلائلَ ربوبيته أظهر وأشهر مِنْ أن يسأل عنه بـ: ما هو؟ فإن هذا إنما هو سؤال عما يُجهل، وهو سبحانه أعرف وأظهر وأبين من أن يُجهل، بل معرفته مستقرة في الفطرة أعظم مِنْ معرفة كل معروف، وهو سبحانه له المثل الأعلى في السماوات والأرض، وهو في السماء إله وفي الأرض، فأهل السماوات والأرض يعرفونه ويعبدونه، وإن كان أكثر أهل الأرض -كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[(٢)]

ولهذا قالت الأنبياء -عليهم السلام- لأممهم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[(٣)] وهذا استفهام إنكار يتضمن النفي، ويبين أنه ليس في الله شك.

وقول القائل: ليس في هذا شك، يُراد به: أنه قد بلغ في الظهور والوضوح ولزوم معرفته، إلى حيث لَا ينبغي أن يُشك فيه، وإلى حيث لا يشك فيه»[(٤)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما إثبات الصانع فطرقه لا تُحصى، بل الذي عليه جمهور

(١) [سورة الشعراء: ٢٣ – ٢٨].
(٢) [سورة يوسف: ١٠٦].
(٣) [سورة إبراهيم: ١٠].
(٤) «درء تعارض العقل والنقل» (٨/ ٣٨ - ٤٠).

العلماء أن الإقرار بالصانع فطري ضروري مغروز في الجِبِلّة، ولهذا كانت دعوة عامة الرسل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وكان عامة الأمة مقرين بالصانع مع إشراكهم به بعبادة ما دونه، والذين أظهروا إنكار الصانع –كفرعون– خاطبتهم الرسل خطاب مَنْ يعرف أنه حق، كقول موسى لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[(١)]

ولما قال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ، قال له موسى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[(٢)]

ولما قال فرعون: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[(٣)] جوابًا للمتجاهل الذي يُظهر أنه لا يعرف الحق وهو معروف عنده، فإن سؤال فرعون بقوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ استفهام إنكار لوجوده، ليس هو استفهام طلب لتعريف ماهيته، كما ظن ذلك بعض المتأخرين، وقالوا: إن فرعون طالبه ببيان الماهية، فعدل عن ذلك لامتناع الجواب بذكرها، فإن هذا غلط منهم؛ فإن فرعون لم يكن مقرًّا بالصانع ألبتة، بل كان جاحدًا له، وكان استفهامه استفهام إنكار لوجوده، ولهذا قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[(٤)]

---

(١) [سورة الإسراء: ١٠٢].

(٢) [سورة الشعراء: ٢٣ – ٢٨].

(٣) [سورة طه: ٤٩ – ٥٠].

(٤) [سورة القصص: ٣٨].

وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾(١) ولو كان مقرًّا بوجوده طالبًا لمعرفة ماهيته لم يقل هذا، ولكان موسى ما أجابه إجابة لم تُذكر فيها ماهيته.

مع أن القول بأن الماهية هي ما يقوله المنطقيون مِنْ ذكر الذاتي المشترك والذاتي المميز، وهما الجنس والفصل؛ كلام باطل قد بُسط الكلامُ عليه في غير هذا الموضع، وبُيّن أن الماهية المغايرة للوجود الخارجي إنما هي ما يتصور في الذهن، فإن ما في الأذهان من الصور الذهنية ليس هو نفس الموجودات الخارجية.

وأما دعوى أهل المنطق اليوناني أن في الخارج ماهية ووجودًا غير الماهية، وأن الصفاتِ اللازمةَ تنقسم إلى لازمة مُقَوِّمة داخلة في الماهية، ومفارقة عرضية لها غير مقوّمة، وإلى لازمة لوجودها الخارجي دون ماهيتها الخارجية، فكلامٌ باطل مِنْ وجوه متعددة، كما قد بُسط هذا في موضعه، وبُيّن أن الصفات تنقسم إلى لازمة للموصوف وعارضة له فقط، كما عليه نظار المسلمين من جميع الطوائف، وبُيّن كلامُ نظار المسلمين في الحد والبرهان، وأن كلامهم في صريح المعقول أصح من كلام المتفلسفة اليونان ومَنِ اتبعهم من المنتسبين إلى الملل.

وأيضا: فنفس حدوث الإنسان يُعلم به صانعه، وكذلك حدوث كل ما يشاهد حدوثه، وهذه الطريقة مذكورة في القرآن.

وأيضا: فالوجود يستلزم إثبات موجد قديم واجب بنفسه، ونحن نعلم أن مِنَ الموجودات ما هو حادث، فقد عُلم بالضرورة انقسام الموجود إلى قديم واجب بنفسه وإلى محدث»(٢).

---

(١) [سورة النازعات: ٢٤].

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٢٧٠- ٢٧٢).

❍ المسلك الثالث: ذكر الآيات الدالة على الربوبية:

وهي العلامات المخلوقة المحكمة الإتقان، فدلالتها من جهة أنها مخلوقة محدثة، ومن جهة إحكامها وإتقانها، قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[1]

فلينظر الإنسان إلى آثار قدرة الله فيه، والتدبير منذ أن كان نطفة في رحم أمه، ثم تَنَقّله مِنْ طَور إلى آخرَ إلى خروجه إلى الدنيا، وله من الأعضاء والحواس مما يظهر آثار الإحكام الإلهي.

هكذا إذا نظر الإنسان في أمر هذا العالم، وما فيه من السير الدقيق والنظم البديع؛ فإنه يحصل له العلم بأن له خالقًا خلقه بعلم وحكمة، والآيات في هذا المقام كثيرة:

منها: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ..﴾ الآيات إلى قوله تعالى ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأخبر ﷻ أنه خلق السماوات والأرض ونزل الأمر لنعلم بذلك قدرته وعلمه، فيكون دليلًا على معرفته ومعرفة صفاته، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ

(١) [سورة الذاريات: ٢٠ – ٢١].
(٢) [سورة النحل: ١٧ – ١٨].

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾»[(١) (٢)].

هذه هي المسالك التي يسلكها القرآن مع المعاندين الذين انتكست فطرهم عن إثبات خالقهم، والإقرار له بالربوبية، وإلا فإن الله -تبارك وتعالى- قد خلق الخلق جميعهم مقرّون له بربوبيته، مفطورون على ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[(٣)]

وكما قال النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه؛ كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها من جدعاء»[(٤)].

والله -تبارك وتعالى- من رحمته ولطفه بعباده خلقهم مفطورون على الإقرار بربوبيته، والأدلة عليه سبحانه أكثر مِنْ أن تُحصى؛ لذلك لا يحتاج إلى تكلف الأدلة؛ لأن الواضح لا يحتاج إلى توضيح، كما قيل:

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل[(٥)]

قالوا ائتنا ببراهين فقلت لهم ... أنى يقوم على البرهان برهان؟!



(١) [سورة الطلاق: ١٢].

(٢) «شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم» (ص:٤٠).

(٣) [سورة الأعراف: ١٧٢].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم:١٣٥٨، ومسلم في صحيحه برقم:٢٦٥٨.

(٥) انظر: «الصواعق المرسلة» (٤/ ١١٢١).



المبحث الثاني
طريقة القرآن
في إثبات وحدانية الله تعالى في ألوهيته

توحيد الألوهية هو: إفراد الله -تبارك وتعالى- بالعبادة قولًا وفعلًا وقصدًا، بجميع أفعال عباده التي تَعَبّدهم بها؛ من صلاة وزكاة وصيام وصدقة وحج ونذر ومحبة وخوف ورجاء ودعاء وتوكل ورغبة ورهبة، وغير ذلك مِنْ أنواع العبادة المشروعة؛ طاعة له سبحانه وتقربًا إليه(١).

وهذا التوحيد هو أول الدين وآخرُه، وباطنُه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنى قول: «لا إله إلا الله»، فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خُلقت الخليقة، وأُرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء وأهل النار(٢).

وأعظم ما دعا الله -تبارك وتعالى- الخلق إليه في كتابه ودعت الرسل- هو التوحيد، وأعظم ما نُهي عنه الشرك، وهو أصل دعوة الرسل وأساسها ورأسها،

(١) انظر: «رسالة في تعريف توحيد العبادة» للشيخ عبد الرحمن أبي بطين (ضمن مجموعة التوحيد) (١/ ١٧٠)، و«تيسير العزيز الحميد» (ص٣٦)، و«القول المفيد على كتاب التوحيد» لابن عثيمين (١/ ١٦٠٠)، و«شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (١/ ٢٤).
(٢) انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص٣٦-٣٧).

وأكمل ما فيها[١].

ولما كان هذا النوع من أنواع التوحيد بهذه المنزلة الرفيعة، كانت الأدلة عليه كثيرة، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع مِنْ أنواع التوحيد كل الإفصاح وبدأ فيه وأعاد، وضرب لذلك الأمثال؛ بحيث إن كل سورة في القرآن -بل كل آية- هي داعية إلى هذا التوحيد شاهدة به، ومتضمنة له؛ لأن القرآن إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو توحيد الربوبية، وتوحيد الصفات، فذلك مستلزم لهذا متضمن له.

وإما دعاء إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يُعبد مِنْ دونه، أو أمر بأنواع العبادة، وهو مستلزم للنوعين الأولين متضمن لهما أيضًا.

وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته، وما فُعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده.

وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من الوبال، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد[٢].

وقد أقام الله -تبارك وتعالى- الحجج والبراهين في كتابه الحكيم، مبينًا للمشركين ما هم عليه من الضلال المبين؛ بصرفهم العبادة لغير الله رب العالمين، واتخاذهم آلهة لا تنفع ولا تضر ولا تغني من الحق شيئًا، وقد تكررت هذه الحجج والأدلة في كتاب الله تعالى وتنوعت دلالتها.

---

(١) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة (١/ ٢٩٠-٢٩١).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» (٣/ ٤١٣).

فمن تلك الأدلة:

١- الاستدلال بتوحيد الربوبية، وإلزام المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية؛ ليقروا بتوحيد الألوهية الذي ينكرونه(١).

وتوحيد الربوبية هو: الإقرار بأن الله ربّ كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك(٢).

وقد أشار العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن للمنهج القرآني مسلكين في تقرير دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية:

أحدهما: دعوة العباد إلى ما تقرر في خاطرهم وعقولهم؛ مِنْ أن الله تعالى المنفرد بالخلق والتدبير.

الثاني: دلالة أن الله تعالى هو المنفرد بهبة النعم الظاهرة والباطنة(٣).

۞ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٤)

قال عكرمة: «فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئًا، وأن يعبدوا غيره، أو

(١) انظر: «القواعد الحسان»، للسعدي (ص١٥٩)، ضمن المجموعة الكاملة، و«دعوة التوحيد»، لمحمد خليل الهراس (ص ٣٥).
(٢) انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص٣٣)، و«تجريد التوحيد المفيد» للمقريزي (ص٤٣).
(٣) «القواعد الحسان» (ص٢٣، ١٥٩)، وانظر: «تيسير الكريم الرحمن» (ص٤٥)، و«الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة» (ص٨٤٥).
(٤) [سورة البقرة: ٢١-٢٢].

يتخذوا له ندًّا وعدلًا في الطاعة، فقال: كما لا شريك لي في خلقكم وفي رزقكم الذي أرزقكم، وملكي إياكم، ونعمتي التي أنعمتها عليكم، فكذلك أفردوا لي الطاعة، وأخلصوا لي العبادة، ولا تجعلوا لي شريكًا وندًّا مِنْ خلقي؛ فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليهم مني»[١].

❁ وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾[٢]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أقسم سبحانه بذلك على توحيد ربوبيته وإلهيته، وقرر توحيد ربوبيته فقال: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾، وهذا مِنْ أعظم الأدلة على أنه إله واحد، ولو كان معه إله آخر لكان الإله مشاركًا له في ربوبيته، كما شاركه في إلهيته، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وهذه قاعدة القرآن يقرر توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية، فيقرر كونه معبودًا وحده بكونه خالقًا ورازقًا وحده»[٣].

وأمثال هذا كثير في كتاب الله -تبارك وتعالى- يذكر أنه المتفرد بالخلق والتدبير، والمتفرد بالإنعام على خلقه، ولازم هذا أن يكون متفردًا بالألوهية، والمستحق لأن يفرد بالعبادة وحده دون ما يُعبد مِن غيره.

وهذا المقام مقام وأي مقام!! زلت فيه أقدام، وضلت فيه أفهام، وبُدل فيه دين المسلمين، والتبس فيه أهل التوحيد بعُبّاد الأصنام على كثير ممن يدعون نهاية التوحيد والتحقيق والمعرفة والكلام[٤].

(١) رواه بسنده ابن جرير في «تفسيره» (١٥/ ١٦٣).
(٢) [سورة الصافات: ٤ – ٥].
(٣) «التبيان في أقسام القرآن» (ص٤٢٧-٤٢٨).
(٤) «مجموع الفتاوى» (٨/ ١٠٣).

٢-الاستدلال بتوحيد الأسماء والصفات:

سمى الله -تبارك وتعالى- نفسه بالأسماء الحسنى، ووصف نفسه بالصفات العليا التي لا يكون إلهًا إلا مَنِ اتصف بها؛ وذلك لأن الإله يجب أن يكون كاملًا متصفًا بجميع صفات الكمال، فإن النقص منافٍ للإلهية، فإذا ثبت اختصاصه سبحانه بهذه الأسماء والصفات؛ دل ذلك على تفرده بالإلهية[(١)].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويدعوهم أيضًا إلى هذا الأصل، أي: توحيد الألوهية بما يمتدح به، ويثني على نفسه الكريمة مِنْ تفرده بصفات العظمة والمجد والجلال والكمال، وأن مَنْ له هذا الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه مشارك أحقُّ من أخلصتْ له القلوب والأعمال الظاهرة والباطنة»[(٢)].

۞ وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[(٣)]

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلما قرر كماله المطلق بعموم خلقه، وعموم أمره ونهيه، وعموم رحمته، وسعة عظمته، وعلوه على عرشه، وعموم ملكه، وعموم علمه، نتج من ذلك أنه المستحق للعبادة، وأن عبادته هي الحق التي يوجبها الشرع والعقل والفطرة، وعبادة غيره باطلة»[(٤)].

---

(١) انظر: «دعوة التوحيد»، للدكتور: محمد خليل هراس (ص٣٩).
(٢) «القواعد الحسان» (ص٢٣)، ضمن المجموعة الكاملة.
(٣) [سورة طه: ٥ – ٨].
(٤) انظر: «تيسير الكريم الرحمن» (ص٥٠٢).

٣- الاستدلال ببيان حال الآلهة التي تُعبد مِنْ دون الله في الدنيا والآخرة، وبيان فقدانها لصفات الكمال واتصافها بصفات النقص[(١)].

وهذا النوع مِنَ الأدلة يُبين الله -تبارك وتعالى- فيه حال الآلهة التي تُعبد مِنْ دون الله، وأنها لا تملك لنفسها ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فضلًا عن أن تملكه لغيرها، بل هي مربوبة مخلوقة لا تنفع ولا تضر ولا تستحق العبادة، قال الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾[(٢)]

قال الإمام ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: أيشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله ما لا يخلق شيئًا من خلق الله، ولا يستطيع أن ينصرهم إن أراد الله بهم سوءًا أو حل بهم عقوبة، ولا هو قادر إن أراد به سوءًا نصر نفسه، ولا دفع ضر عنها، وإنما العابد يعبد ما يعبده لاجتلاب نفع منه، أو لدفع ضر منه عن نفسه، وآلهتهم التي يعبدونها ويشركون في عبادة الله، لا تنفعهم ولا تضرهم، بل لا تجلب إلى نفسها نفعًا ولا تدفع عنها ضرًّا، فهي مِنْ نفع غير أنفسها أو دفع الشر عنها أبعد، يعجّب -تبارك وتعالى- خلقه من عظيم خطأ هؤلاء الذين يشركون في عبادتهم غيره»[(٣)].

❁ وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾[(٤)]

(١) انظر: «رسالة الشرك ومظاهره»، لمبارك بن محمد الميلي (ص١٩٣).
(٢) [سورة الأعراف: ١٩١ - ١٩٢].
(٣) «جامع البيان»(١٠/ ١٨١).
(٤) [سورة الفرقان: ٣].

❁ وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾(١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقد تهدد سبحانه مَنْ دعا شيئًا مِنْ دون الله، وبَيَّن أنهم لا ملك لهم مع الله ولا شركاء في ملكه، وأنه ليس له عون ولا ظهير من المخلوقين، فقطع تعلق القلوب بالمخلوقات؛ رغبة ورهبة وعبادة واستعانة، ولم يبق إلا الشفاعة عنده وهي حق، لكن قال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾»(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتأمل كيف أخذتْ هذه الآية على المشركين بمجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك وسَدّتها عليهم أحكم سد وأبلغه، فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه، وإلا فلو لم يرجُ منه منفعة لم يتعلق قلبه به، وحينئذٍ فلا بد أن يكون المعبود مالكًا للأسباب التي ينفع بها عابده، أو شريكًا لمالكها أو ظهيرًا أو معاونًا له أو وجيهًا ذا حرمة وقدر يشفع عنده، فإذا انتفت أسباب الشرك وانقطعت موارده، فنفى سبحانه عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرة في السماوات والأرض، فقد يقول المشرك: هي شريكة للمالك الحق، فنفى شركتها له، فيقول المشرك قد تكون ظهيرًا ووزيرًا ومعاونًا، فقال: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾، فلم يبقَ إلا الشفاعة فنفاها عن آلهتهم، وأخبر أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فهو الذي يأذن للشافع، فإن لم يأذن له لم يتقدم بالشفاعة بين يديه، كما يكون في حق المخلوقين؛ فإن المشفوع عنده يحتاج إلى الشافع ومعاونته له فيقبل شفاعته وإن

(١) [سورة سبأ: ٢٢ – ٢٣].

(٢) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (ص٣٢١).

لم يأذن له فيها، وأما مَنْ كل ما سواه فقير إليه بذاته وهو الغني بذاته عن كل ما سواه، فكيف يشفع عنده أحد بدون إذنه؟!»[(١)].

❁ وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[(٢)]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلله ما أحلى هذا اللفظَ وأوجزه وأدله على بطلان الشرك!! فإنهم إن زعموا أن آلهتهم خلقت شيئًا مع الله؛ طولبوا بأن يُرُوهُ إياه، وإن اعترفوا بأنها أعجز وأضعف وأقل من ذلك؛ كانت آلهتُهَا باطلًا ومحالًا»[(٣)].

٤-الاستدلال بضرب الأمثال[(٤)]:

❁ قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٧٥ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[(٥)]

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ضرب تعالى مثلين له ولمن يعبد من دونه، أحدهما عبد مملوك، أي: رقيق لا يملك نفسه ولا يملك من المال والدنيا شيئًا. والثاني حرٌّ غنيٌّ قد رزقه الله منه رزقًا حسنًا من جميع أصناف المال وهو كريم محب للإحسان، فهو ينفق منه سرًّا وجهرًا، هل يستوي هذا وذاك؟! لا يستويان مع أنهما مخلوقان، غير محال استواؤهما.

---

(١) «الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٦١-٤٦٢).
(٢) [سورة لقمان: ١١].
(٣) «الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٦٥).
(٤) انظر: «إعلام الموقعين» (١/ ٢٣٠).
(٥) [سورة النحل: ٧٥ – ٧٦].

فإذا كانا لا يستويان، فكيف يستوي المخلوق العبد الذي ليس له ملك ولا قدرة ولا استطاعة، بل هو فقير من جميع الوجوه بالرب الخالق المالك لجميع الممالك القادر على كل شيء؟!!»[١].

فهذه الطرق التي لا تُحصى أنواعها وأفرادها قد أبداها الله -تبارك وتعالى- في كتابه وأعادها، ونبه بها العباد على هذا المطلوب الذي هو أعظم المطالب وأجل الغايات، فمَنْ سلك طريقًا من هذه الطرق أفضت به إلى العلم واليقين بأنه لا إله إلا هو، وكلما ازداد يقينُه ورسخ إيمانه كان الإيمان في قلبه أرسخَ من الجبال، وأحلى من كل لذيذ، وأنفسَ من كل نفيس.

والطريق الأعظم الجامع لذلك كله تدبرُ القرآن العظيم والتأمل في آياته، فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد، ويحصل به مِنْ تفاصيله وجمله ما لا يحصل من غيره[٢].



(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٤٤٥).

(٢) انظر: «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن» للسعدي (ص ١٩) ضمن المجموعة الكاملة.



المبحث الثالث
طريقة المتكلمين
في الاستدلال على إثبات وجود اللّه

المتكلمون هم: كل مَنْ سلك المنهج الكلامي في أبواب الاعتقاد؛ كالجهمية، والمعتزلة والأشاعرة، ونحوهم[(١)].

وقد عُرف عن أهل الكلام كثرةُ جدلهم بالباطل، وقلة تعظيمهم لكلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ، بل هم مِنْ أجهل الناس بأقواله ﷺ وأحواله وبواطن أموره وظواهرها[(٢)].

وقد تقدم أن الله تعالى فطر الناس على الدين الحق، أي: أنه تعالى خلقهم على محبته ورجائه، وعبادته، وأن هذه الفطرة لو خليت وعدم المعارض، لبقيت على حالتها من السلامة والاستقامة، ولكن قد يعرض للفطرة ما يغيرها، ويحوّلها من ملل الكفر والشرك؛ وعليه فمسائل الدين موافقة لفطر الناس قبل التغير والتحويل، لا تجد مسألة منها إلا وفي الفطرة ما يشهد لها بالصحة والسلامة[(٣)].

---

(١) انظر: «موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة»، لسليمان الغصن (١/ ٢٨-٢٩).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (٤/ ٩٥).

(٣) انظر: «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد» (١/ ٢١٠).

وهذا القول قد أجمع عليه السلف التابعون للكتاب والسنة الذين بنَوْا عقيدتهم على الوحيين، وقابلهم في هذا القول المتكلمون الذين بنَوْا مذهبهم على مقدمات وأقيسة عقلية جعلوها أصولًا لدينهم، وعند تأمل هذه الأصول نجد أنها خالية عن البرهان، معطلة عن الدليل، قائمة على آراء وأهواء وفهوم أصحابها المستمدة من عقولهم القاصرة دون اعتماد على كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، أو أقوال الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين.

ومِنْ تلك الطرق التي بنَوْا عليها مذهبهم: طريقتهم في الاستدلال على إثبات وجود الله تعالى، فقد ذكروا أن إثبات وجود الله تعالى ليس ضرورة ولا فطرة في النفس، فيجب حينئذٍ النظر العقلي لإثبات وجود الله تعالى.

وقد قرر القاضي عبد الجبار هذه القضية بوضوح؛ حيث قال: «إن سأل سائل فقال: ما أول ما أوجب الله تعالى؟ فقل: النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى؛ لأنه تعالى لا يُعرف ضرورة ولا بالمشاهدة، فيجب أن نعرفه بالتفكر والنظر»[١].

وقال الباقلاني: «أول ما فرض الله ﷻ على جميع العباد: النظر في آياته، والاعتبار بمقدوراته، والاستدلال عليه بآثار قدريته، وشواهد ربوبيته؛ لأنه سبحانه غير معلوم باضطرار ولا مشاهدة بالحواس؛ وإنما يُعلم وجوده وكونه على ما تقتضيه أفعاله بالأدلة القاهرة، والبراهين الباهرة»[٢].

والمتكلمون إذ يقولون بأن المعرفة لا تحصل إلا بالنظر، اختلفوا في أول واجب على المكلف:

١-فقال بعضهم: أول واجب النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدوث

(١) «شرح الأصول الخمسة» (ص ٣٩).
(٢) «الإنصاف» (ص٣٣).

العالم.

٢- وقالت طائفة أخرى: أول واجب القصد إلى النظر الصحيح.

٣- وقالت طائفة أخرى: أول واجب الشك.

٤- وقالت طائفة رابعة: أول واجب المعرفة بالله[(١)].

والنزاع بينهم في هذا لفظي، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن النظر واجب وجوب الوسيلة .. والمعرفة واجبة وجوب المقاصد، وأما مَنْ يقول القصد إلى النظر فهو أيضًا نزاع لفظي؛ فإن العمل الاختياري مطلقًا مشروط بالإرادة»[(٢)].

وأما القول بأن أول واجب هو الشك، وهو قول منسوب إلى أبي هاشم الجبائي، وقد أخذ به الغزالي ونسبه ابن حزم إلى الأشعرية، ويقول شيخ الإسلام فيه: إنه مبني على أصلين:

«**أحدهما**: أن أول الواجبات النظر المفضي إلى العلم.

والثاني: أن النظر يضاد العلم؛ فإن الناظر طالب للعلم، فلا يكون في حال النظر عالمًا»[(٣)].

وهذه المعرفة التي يوجبها المتكلمون مباشرة أو بوسائلها مِنَ النظر أو القصد إلى النظر هي: معرفة الله تعالى، أي: الإقرار بوجوده تعالى، وأنه خالق العالم، وأن

---

(١) انظر: «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد»، للجويني (ص٣)، و«مجموع الفتاوى» (٢٠/ ٢٠٢).

(٢) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ٣٥٣).

(٣) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ٤١٩).

ما سواه مخلوق محدث[١].

والقول بأن أول واجب على المكلف هو: النظر، أو القصد إلى النظر، أو معرفة الله ﷻ، أو الشك -قولٌ باطلٌ، **والصحيح: أن أول واجب على المكلف هو الشهادتان المتضمنتان لتوحيد الله وإفراده بالعبادة، والدليل على ذلك ما يلي:**

١- حديث معاذ المشهور، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والنبي ﷺ لم يدعُ أحدًا من الخلق إلى النظر ابتداء ولا إلى مجرد إثبات الصانع، بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان، وبذلك أمر أصحابه، كما قال في الحديث المتفق على صحته لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تُؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم»[٢]. وكذلك سائر الأحاديث عن النبي ﷺ موافقة لهذا»[٣].

٢- ومن الأدلة على أن النظر ليس أول واجب: قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه الآية أيضًا تدل على أنه ليس النظر أول واجب، بل أول واجب ما أوجب الله على نبيه ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ لم يقل: انظر واستدل حتى تعرف الخالق، وكذلك هو أول ما بلغ هذه السورة، فكان المبلغون مخاطبين بهذه الآية قبل كل شيء، ولم يؤمروا فيها بالنظر

---

(١) انظر: «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (٣/ ٩٣٥).
(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ١٤٥)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ١٩).
(٣) «درء التعارض» (٨/ ٦-٨).
(٤) [سورة العلق: ١].

والاستدلال»[١].

٣-ومِنَ الأدلة: أن جميع الرسل جاؤوا بالدعوة إلى إخلاص العبادة لله تعالى، والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة، منها:

❁ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[٢]

❁ وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٣]

فإذا كان الأنبياء والمرسلون أول ما يدعون قومهم إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، فإن هذا يدل على أنه أول واجب على المكلف.

٤- ومِنَ الأدلة أيضًا: الإجماع؛ فإن أئمة الدين وعلماء المسلمين مجمعون على ما عُلم بالاضطرار مِنْ دين الرسول: أن كل كافر فإنه يُدعى إلى الشهادتين، سواءٌ كان معطلًا أو مشركًا أو كتابيًّا، وبذلك يصير الكافر مسلمًا ولا يصير مسلمًا بدون ذلك[٤].

قال ابن المنذر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع كل مَنْ أحفظ عنه مِنْ أهل العلم على أن الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأن كل ما جاء به محمد حق، وأبرأ إلى الله من كل دين يخالف دين الإسلام، وهو بالغ صحيح يعقل أنه مسلم، فإن رجع بعد ذلك فأظهر الكفر كان مرتدًا، يجب عليه ما

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٢٨).
(٢) [سورة النحل: ٣٦].
(٣)
(٤) انظر: «درء التعارض» (٨/ ٧).

يجب على المرتد»[١].

وهذا خلاصة ما يمكن أن يجاب به في الرد على هذا الواجب، وهذا الواجب عند المتكلمين سبب يؤدي إلى العلم بحدوث العالم، وإثبات الصانع.

ولأهل الكلام أدلة متنوعة في إثبات وجود الله تعالى، منها:

١- دليل حدوث الأجسام لقيام الأعراض بها، وهذه هي الطريقة المشهورة عند المعتزلة والأشاعرة.

٢- دليل الإمكان، وهذا عمدة الفلاسفة؛ كابن سينا وأمثاله، وهو الذي اعتمده الرازي، والآمدي، وغيرهما من المتأخرين.

٣- الاستدلال بإمكان الصفات، وهو مبني على أن الأجسام متماثلة، وهو قول بعض المعتزلة والأشاعرة.

٤- الاستدلال بحدوث الصفات والأعراض، وهو دليل الأشعري في «اللمع» و«رسالته لأهل الثغر».

٥- الاستدلال على علم الله تعالى بما في العالم من الإحكام والإتقان، والذي يدل على علمه يدل على ذاته من باب أولى[٢].

والدليل الأول هو أشهر أدلتهم على الإطلاق، وهو الذي استدل به المعتزلة، وأخذه الأشاعرة والماتريدية عنهم، وهذا الدليل سار عليه المتقدمون والمتأخرون مِنْ طوائف أهل الكلام، ومبناه الأساسي هو علم الكلام نفسه.

---

(١) «الإقناع» لابن المنذر (٢/ ٥٨٨).

(٢) انظر: «معالم أصول الدين» للرازي (ص٤٤)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٣/ ٧٢-٨٧).

وخلاصة الدليل: أن هؤلاء قالوا: لا يُعرف صدق الرسول حتى يعرف إثبات الصانع، ولا يُعرف إثبات الصانع حتى يعرف حدوث العالم، ولا يُعلم حدوث العالم إلا بما يعلم حدوث الأجسام، ثم استدلوا على حدوث الأجسام بأنها لا تخلو من الحوادث، أو هي مستلزمة للأعراض، ثم قالوا: وما لم يخلُ من الحوادث فهو حادث.

ثم إن هؤلاء احتاجوا إلى أن يقولوا: ما لم يسبق الحوادث فهو حادث، ثم منهم من تَفَطّن إلى أن هذا لا يكفي لإثبات الصانع، فاضطر إلى أن يقول بإبطال حوادث لا أول لها[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن هذه الطريقة هي أصل الكلام الذي ذمه السلف والأئمة، **وتوسعوا في الكلام في ذلك من وجهين:**

١- أنهم **[أي: أهل الكلام]** جعلوا ذلك أصل الدين، حتى قالوا: إنه لا يمكن معرفة الله وتصديق رسوله إلا بهذه الطريق، فصارت هذه الطريق أصل الدين، وقاعدة المعرفة، وأساس الإيمان عندهم لا يحصل إيمان ولا علم بالصانع إلا بها، وصار المحافظة على لوازمها والذي فيها أهم الأمور عندهم ..

٢- وهو الكلام بذلك في حق الله سبحانه وتعالى، فإنه كان من لوازم هذه الطريقة نفي ما جعلوه مِنْ سمات الحدوث عن الرب تعالى، فإن تنزيهه عن الحدوث ودلائله أمر معلوم بالضرورة متفق عليه بين جميع الخلق؛ لامتناع أن يكون صانع العالم محدثًا، لكن الشأن فيما هو من سمات الحدوث، فإن في كثير من ذلك نزاعًا بين الناس..»[(٢)].

---

(١) انظر: «شرح الأصفهانية» (ص ٢٦٤)، ت السعوي.
(٢) «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٢٢٢).

وقد اختلف أهل الكلام في توضيح هذا الدليل واضطربت أقوالهم في تحديد معناه، حتى ردَّه كثير من متأخريهم وقدح فيه؛ لطوله وغموضه وكثرة مقدماته(١).

وقد احتج المتكلمون على صحة دليل حدوث الأجسام بقصة الخليل عليه السلام، وأنه قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾(٢)

وقولهم: إبراهيم الخليل استدل على حدوث الكواكب والشمس والقمر بالأفول، والأفول هو الحركة، والحركة هي التغير، فلزم من ذلك أن كل متغير محدث؛ لأنه لا يسبق الحوادث؛ لامتناع حوادث لا أول لها، وكل ما قامت به الحوادث فهو متغير، فيجب أن يكون محدثًا، فهذه الطريق التي سلكناها هي طريقة إبراهيم الخليل(٣).

والرد على هذا الدليل من وجوه:

١- أن قول الخليل: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ سواءٌ قاله على سبيل التقدير لتقريع قومه، أو على سبيل الاستدلال والترقي، أو غير ذلك، ليس المراد به: هذا رب العالمين القديم الأزلي، الواجب بنفسه، ولا كان قومه يقولون: إن الكواكب أو القمر أو الشمس رب العالمين الأزلي الواجب بنفسه، ولا قال هذا أحد مِنْ أهل المقالات المعروفة التي ذكرها الناس: لا مِنْ مقالات أهل التعطيل والشرك الذين يعبدون الشمس والقمر والكواكب، ولا مِنْ مقالات غيرهم، بل قوم إبراهيم ﷺ كانوا يتخذونها أربابًا يَدْعُونها ويتقربون إليها بالبناء عليها والدعوة لها والسجود

---

(١) انظر: «الصفدية» (١/ ٢٧٥).
(٢) [سورة الأنعام: ٧٦].
(٣) انظر: «درء التعارض» (١/ ١٠٠-١٠١)، و«الاعتقاد» للبيهقي (ص: ٤٠)، و«التفسير الكبير» للرازي (١٣/ ٤٦).

والقرابين، وغير ذلك، وهو دين المشركين[١]، فليس هناك أحد مِنَ العقلاء يقول: إن شيئًا مِنَ الكواكب أو الشمس أو غيرها هو خالق هذا العالم[٢].

٢- ولو قالوا: إن إبراهيم عليه السلام أراد بقوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ رب العالمين «لكانت قصة الخليل حجة على نقيض مطلوبهم؛ لأن الكواكب والقمر والشمس ما زال متحركًا من حين بزوغه إلى عند أفوله وغروبه، وهو جسم متحرك متحيز صغير، فلو كان مراده هذا للزم أن يقال: إن إبراهيم لم يجعل الحركة والانتقال مانعة من كون المتحرك المتنقل رب العالمين، بل ولا كونه صغيرًا بقدر الكواكب والشمس والقمر. وهذا مع كونه لا يظنه عاقل ممن هو دون إبراهيم -صلوات الله وسلامه عليه- فإن جوزوه عليه كان حجة عليهم لا لهم»[٣].

«فتبين أن قصة الخليل إلى أن تكون حجة عليهم أقرب من أن تكون حجة لهم، ولا حجة لهم فيها بوجه من الوجوه»[٤].

٣- أن مقصود إبراهيم عليه السلام إثبات التوحيد لله عز وجل، لا إثبات الصانع، بخلاف ما ظنه هؤلاء[٥].

٤- أن إبراهيم عليه السلام قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ فنفى محبته فقط ولم يتعرض لما ذكروه[٦].

---

(١) انظر: «بغية المرتاد» (المسمى بالسبعينية) (ص:٢٦٠)، و«منهاج السنة» (٢/ ١٤٢).
(٢) انظر: «درء التعارض» (١/ ٣١٣)، و«منهاج السنة» (٢/ ١٤٤).
(٣) انظر: «درء التعارض» (١/ ٣١٣)، و«منهاج السنة» (٢/ ١٤٤).
(٤) انظر: «درء التعارض» (١/ ١١١).
(٥) انظر: «شرح الأصفهانية» (ص ١٣٧)، ت: السعودي.
(٦) «بغية المرتاد» (المسمى بالسبعينية) (ص ٣٦٠).

٥- أن الأفول هو المغيب والاحتجاب، ليس هو مجرد الحركة والانتقال، ولا يقول أحد -لا من أهل اللغة ولا من أهل التفسير- أن الشمس والقمر في حال مسيرهما في السماء: إنهما آفلان، ولا يقول للكواكب المرئية في السماء، في حال ظهورها وجريانها: إنها آفلة، ولا يقول عاقل لكل مَنْ مشى وسافر وسار وطار: إنه آفل»(١).

و«الأفول ليس هو الحركة، سواءٌ كانت حركة مكانية وهي الانتقال، أو حركة في الكم كالنمو، أو في الكيف كالتسود والتبيض، ولا هو التغير، فلا يُسمى في اللغة كل متحرك أو متغير آفلًا، ولا أنه أفل، ولا يقال للمصلي أو الماشي: إنه آفل، ولا يقال للمتغير الذي هو استحالة كالمرض واصفرار الشمس: إنه أفول، لا يقال للشمس إذا اصفرت: إنها أفلت، وإنما يقال: أفلت: إذا غابت واحتجبت. وهذا مِنَ المتواتر المعلوم بالاضطرار من لغة العرب، أن آفلًا بمعنى غائب، وقد أفلت الشمس تأفل أفولًا، أي: غابت..

ومعلوم أنه لما بزغ القمر والشمس كان في بزوغه متحركًا، وهو الذي يسمونه تغيرًا، فلو كان قد استدل بالحركة المسماة تغيرًا لكان قد قال ذلك من حين رآه بازغًا»(٢).

٦- «أن هذا القول الذي قالوه لم يقله أحد من علماء السلف، أهل التفسير، ولا مِنْ أهل اللغة، بل هو من التفسيرات المبتدعة في الإسلام»(٣).

(١) انظر: «درء التعارض» (١/ ٣١٣-٣١٤).
(٢) انظر: «درء التعارض» (١/ ١٠٩-١١٠).
(٣) انظر: «درء التعارض» (١/ ٣١٤)، و«موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (٣/ ٩٩٢-٩٩٤).

الطريق الثاني عند المتكلمين في إثبات الصانع[١]:

الاستدلال بإمكان الأجسام، وهذا عمدة الفلاسفة؛ كابن سينا وأمثاله، وهو الذي اعتمده الرازي وغيره كالآمدي، قالوا: الأجسام ممكنة، وكل ممكن فلا بد له من مؤثر -أي: واجب- وبنَوْا ذلك على أن الموجود ينقسم إلى واجب وممكن، وأن الممكن لا بد له من واجب[٢].

وهذه الطريقة باطلة وضعيفة من عدة وجوه:

١- أن الممكن عندهم -والذي هو قسيم الواجب- يتناول القديم والحادث، أي: أن الممكن قد يكون أزليًّا، فاحتجوا على وجود الممكن الذي تقبل ذاته الوجود والعدم بالحوادث التي تكون موجودة تارة ومعدومة أخرى، فلم يمكنهم ذلك؛ لأن هذه الممكنات قد تكون عندهم أزلية قديمة، فكيف يمكن إثبات الواجب والقول بأن الممكن لا بد له من واجب، فهؤلاء إذا قيل لهم: أثبتوا واجب الوجود الذي هو قسيم الممكن عندهم، والممكن عندهم يتناول القديم والحادث؛ لم يمكنهم إثبات هذا الواجب إلا بإثبات ممكن يقبل الوجود والعدم، وهذا لا يمكنهم إثباته إلا بإثبات الحادث الذي يكون موجودًا تارة ومعدومًا أخرى، والحادث يستلزم ثبوت القديم، والقديم عندهم لا يجب أن يكون واجب الوجود، بل قد يكون ممكن الوجود، ولذلك فطريقتهم هذه لو أدت إلى إثبات واجب الوجود؛ لم تثبت أنه مغاير للأفلاك إلا ببيان إمكان الأجسام[٣].

٢- أن هذه الطريقة مبنية على توحيد ابن سينا ومن اتبعه من الفلاسفة الذين

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٢٤٦)، و«شرح الأصفهانية» (ص٢٦٠).

(٢) انظر: «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (٣/ ١٠١٤).

(٣) انظر: «درء التعارض» (٨/ ١٢٣-١٢٥)، و«شرح الأصفهانية» (ص١٤١-١٤٥).

نفَوْا صفاتِ الله تعالى لشبهة التركيب، قالوا: إن المتصف بالصفات مركب، والمركب مفتقر إلى أجزائه، وهذا هو الممكن، وهذا مِنْ أبطل الباطل، ومِنْ أفسد الأقوال، ولذلك دخل الملاحدة من أصحاب وَحدة الوجود من هذا الطريق(١).

الطريق الثالث: الاستدلال بإمكان الصفات:

وهو مبني على أن الأجسام متماثلة، ومِنْ ثَمَّ فتخصيص بعضها بالصفات دون بعض يفتقر إلى مخصص، ولم يفرقوا بين الأجسام، بل شملوها كلها بهذا الحكم، سواءٌ كانت واجبة أو ممكنة، قديمة أو محدثة(٢).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحقيقة هذا القول: أن الأجسام متماثلة من كل وجه لا تختلف من وجه دون وجه، بل الثلج مماثل للنار من كل وجه، والتراب مماثل للذهب من كل وجه، والخبز مماثل للحديد من كل وجه؛ إذ كانا متماثلين في صفات النفس عندهم.

وهذا القول فيه من مخالفة الحس والعقل ما يُستغنى به عن بسط الرد على صاحبه»(٣).

الطريق الرابع: الاستدلال بحدوث الصفات والأعراض، مثل: صيرورة النطفة علقة ثم مضغة ثم إنسانًا، فهذا التحول والتغير في هذه الأجسام يدل على أن لها فاعلًا فعلها، وأن النطفة لا بد لها مِنْ صانع صنعها وهو الله تعالى(٤).

وهذا المسلك هو مسلك صحيح، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية إذا جُرّد

---

(١) انظر: «درء التعارض» (٣/ ٧٥، ١٣٨).
(٢) انظر: «درء التعارض» (٣/ ٧٥).
(٣) «درء التعارض» (٥/ ١٩٢).
(٤) انظر: «رسالة إلى أهل الثغر» للأشعري (ص٣٤-٤٠).

عن الأمور الباطنة، ولكن يعاب على المتكلمين في استدلالهم بهذا المسلك على إثبات الصانع من وجهين:

١- أن الطريقة التي جاء بها القرآن هو الاستدلال بحدوث الإنسان وغيره من المحدثات المعلوم حدوثها بالمشاهدة ونحوها، على وجود الخالق سبحانه وتعالى، فحدوث الإنسان يُستدل به على المحدثات، لا يحتاج أن يستدل على حدوثه بمقارنة التغير أو الحوادث له، ووجوب تناهي الحوادث، والفرق بين الاستدلال بحدوثه والاستدلال على حدوثه بَيّن، والذي في القرآن هو الأول لا الثاني، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾[1]

فنفس حدوث الحيوان والنبات والمعدن والمطر والسحاب، ونحو ذلك معلوم بالضرورة، بل مشهود لا يحتاج إلى دليل، وإنما يُعلم بالدليل ما لم يعلم بالحس وبالضرورة[2].

٢- أنهم ذكروا حدوث الصفات؛ لاعتقادهم أن ما نشهده من الحيوانات إنما هو صفات بناء على إثبات الجوهر الفرد، وأن الحدوث إنما هو اجتماع الجواهر وافتراقها، وهذا قول المثبتين للجوهر الفرد، فإن مذهبهم أن جميع ما نشهد حدوثه إنما هي صفات للجوهر؛ من اجتماع وافتراق، وحركة وسكون. وهذا قول فاسد، والصواب: أنا ندرك نفس حدوث أعيان هي أجسام، كما نشهد حدوث الحيوان والنبات والمطر والسحاب وغير ذلك، وأن الأجسام يستحيل بعضها إلى بعض؛ لا أن هناك جواهرَ منفردةً باقية تعتقب عليها الصفات، فإن القول بإثبات

(١) [سورة الطور: ٣٥].

(٢) انظر: «درء التعارض» (٧/ ٢١٩).

الجوهر الفرد باطل[١].

الطريق الخامس: الاستدلال بما في العالم من الإحكام والإتقان على الباري تعالى، والذي يدل على علمه يدل على ذاته من باب أولى. وهذه الطريقة عند التحقيق هي راجعة إلى الطرق الأربعة[٢].

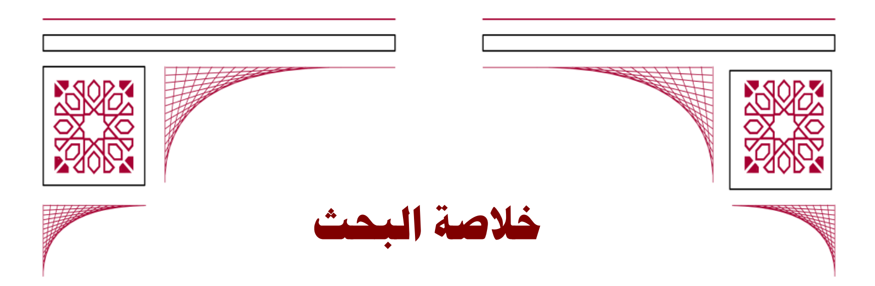
هذه هي خلاصة الطرق التي جاء بها هؤلاء المتكلمون، والمتأمل في هذه الطرق يجد أن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق الموافق لصريح المعقول، وأن ما بَيَّنَه من الآيات والدلائل والبراهين العقلية هو فوق ما جاء به هؤلاء من مقدمات عقلية، وأن خيار ما عند حذّاق الأولين والآخرين من الفلاسفة والمتكلمين هو بعض ما فيه، لكنهم يلبسون الحق بالباطل، فلا يأتون به على وجهه، كما أن طريقة الاستدلال بحدوث المحدثات على إثبات الخالق هي طريقة فطرية، وهي خيار ما عندهم، بل ليس عندهم طريقة صحيحة غيرها، لكنهم أدخلوا فيها من الاختلال والفساد ما يعرفه أهل التحقيق والانتقاد الذين آتاهم الله الهدى والسداد[٣].



(١) انظر: «شرح العقيدة الأصفهانية» (ص٢٦١-٢٦٢).

(٢) انظر: «درء التعارض» (٣/ ٨٦-٨٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (٣/ ٨٧).



خلاصة البحث

يمكن تلخيص البحث في النقاط التالية:

١- لا خلاف بين السلف والخلف في أن الإقرار بوجود الله تعالى أصل سابق لكل أصل عقدي، وإنما الخلاف بينهم في طريق حصوله. ومذهب السلف أن معرفة الله تعالى فطرية ضرورية، لا تتوقف على نظر واستدلال إلا عند فساد الفطرة بطارئ ما، فعندها تكون نظرية في حق من فسدت فطرته، لكن تسلك في هذا النظر الطرق الشرعية دون البدعية.

ومراد السلف بـ«فطرية المعرفة بالخالق» إنما هو المعرفة الإجمالية، أما التفصيلية فلا سبيل إليها سوى الوحي[(١)].

وخالفهم المبتدعة المتكلمون في هذا الأصل، فقالوا: إن معرفة الخالق نظرية، وأوجبوا بذلك النظر على عامة المكلفين، ورتبوا على ترك ذلك التكفير أو التفسيق، وهذا النظر الذي أوجبه المتكلمون على كل مكلف، وجعلوا معرفة الخالق مترتبة عليه إنما هو نظر من أدلة مبتدعة ليست مأخوذة من الكتاب والسنة ولم يعرفها سلف الأمة.

والسلف في قولهم بفطرية معرفة الخالق لا ينكرون الاستدلال على وجود الله

(١) انظر: «بيان تلبيس الجهمية» لابن تيمية (١/ ٢٤٨).

تعالى بإطلاق، فهم يعلمون أكثر مِنْ غيرهم قدر ما في القرآن من ذلك، كما لم يغب عنهم ما في القرآن من ذكر منكري الخالق جل وعلا؛ كنمرود، وفرعون، والدهرية، وإنما ينكرون ما يذهب إليه أهل الكلام مِنْ جعل النظر طريقًا لتحصيل أصل المعرفة بالخالق في حق جميع الناس دون تفصيل. ويعتبر السلف ما ورد في القرآن الكريم من الأمر بالنظر في ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله من شيء؛ من أعظم أسباب زيادة الإيمان واليقين، كما هو شأن الخليل عليه السلام إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[١]

كما أن النظر في هذه الآيات فيه أعظم شفاء وأحسن دواء لمن فسدت فطرته، فوقع في إنكار الخالق جل وعلا، أو غير ذلك مما يخالف الفطر السليمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المعرفة وإن كانت ضرورية في حق أهل الفطرة السليمة، فكثير من الناس يحتاج فيها إلى النظر، والإنسان قد يستغني عنه في حال، ويحتاج إليه في حال»[٢].

وهذا النظر في حال فساد الفطرة قد يكون واجبًا، إذا لم يكن صلاحها إلا به[٣].

وعند تأمل الدلائل العقلية على وجود الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة، والمتمثلة في دلائل الأنفس والآفاق، نجدها –أصلًا– سيقت لتقرير قضيتين:

الأولى: إفراد الله تعالى بالعبادة.

الثانية: الإيمان بالبعث والجزاء.

---

(١) [سورة البقرة: ٢٦٠].

(٢) «درء التعارض» (٣/ ٣٠٤).

(٣) انظر: المصدر السابق (٨/ ٣٥٨).

ونجد أن إثبات وجود الله تعالى يأتي ضمنًا في الدلائل المسوقة لتقرير هاتين القضيتين، ولا تكاد تجد آية متضمنة لإثبات وجود الله تعالى إلا وتكون مسوقة أصلًا؛ إما للدلالة على توحيد العبادة أو على البعث والجزاء، ويمكن أن يُستثنى مِنْ هذه القاعدة آيات معدودة جاء فيها قصد الاستدلال على الربوبية جليًّا، وهي قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾، والآيات التي فيها ذكر مناظرتي إبراهيم وموسى مع النمرود وفرعون.

وكذلك الشأن بالنسبة لدلائل توحيد الربوبية؛ فإن المتأمل لا يكاد يقف على آية تقتصر على الدلالة عليه دون أن تتضمن الدَّلالة على توحيد العبادة، ولا يمكن أن يعد هذا إهمالًا أو قصورًا في الاستدلال على وجود الله تعالى؛ وذلك لأن المسند الأكبر المعول عليه في هذه القضية هو المعرفة الفطرية، فكل إنسان يَعرفُ مِنْ نفسه ضرورة أنه مخلوق مدبر، وإنما وقع الكفر وإنكار الصانع من بعض الناس لفساد فطرهم؛ إما باجتيال الشياطين، أو بفعل المربين أو بغير ذلك مِنْ مفسدات الفطرة التي ورد الشرع بالتحذير منها(١).

٢- طرق العلم بالصانع فطرية ضرورية ليس في العلوم أجلى منها، وكل ما استُدل به على الصانع فالعلم بوجوده أظهر مِنْ دلالته، ولهذا قالت الرسل لأممهم: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٢) فخاطبوهم مخاطبة مَنْ لا ينبغي أن يخطر له شك ما في وجود الله سبحانه، ونصب من الأدلة على وجوده ووحدانيته وصفات كماله الأدلة على اختلاف أنواعها، ولا يطيق حصرها إلا الله ﷻ، ثم ركز ذلك في الفطرة ووضعه في العقل جملة، ثم بعث الرسل مذكرين به.

(١) انظر: «الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد»، سعود العوفي (ص١٩٤).
(٢) [سورة إبراهيم: ١٠].

- ولهذا يقول تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)]
- وقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾[(٢)]
- وقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[(٣)]

وقوله: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾[(٤)] وهو كثير في القرآن ومفصلين لما في الفطرة والعقل العلم به جملة، فانظر كيف وجد الإقرار به وبتوحيده وصفات كماله ونعوت جلاله وحكمته في خلقه وأمره المقتضية إثبات رسالة رسله ومجازات المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته مودعًا في الفطرة مركوزًا فيها، فلو خُليت على ما خُلقت عليه؛ لم يعرض لها ما يفسدها ويحولها ويغيرها عما فُطرت عليه، ولأقرت بوحدانيته ووجوب شكره وطاعته، وبصفاته وحكمته في أفعاله، وبالثواب والعقاب، ولكنها لما فسدت وانحرفت عن المنهج الذي خُلقت عليه؛ أنكرت ما أنكرت وجحدت ما جحدت، فبعث الله رسله مذكرين لأصحاب الفطر الصحيحة السليمة، فانقادوا طوعًا واختيارًا ومحبةً وإذعانًا بما جعل من شواهد ذلك في قلوبهم، حتى إن منهم مَنْ لم يسأل عن المعجزة والخارق، بل علم صحة الدعوة من ذاتها، وعلم أنها دعوة حق برهانها فيها ومعذرين ومقيمين البينة على أصحاب الفطر الفاسدة؛ لئلا نحتج على الله بأنه ما أرشدها ولا هداها، فيحق القول عليها بإقامة الحجة، فلا يكون سبحانه ظالمًا لها بتعذيبها وإشقائها.

---

(١) [سورة الذاريات: ٥٥].
(٢) [سورة الأعلى: ٩].
(٣) [سورة الغاشية: ٢١].
(٤) [سورة المدثر: ٤٩].

وقد بين ذلك سبحانه في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١] فتأمل كيف ظهرت معرفة الله ﷻ والشهادة له بالتوحيد وإثبات أسمائه وصفاته ورسالة رسله والبعث للجزاء مسطورة مثبتة في الفطر، ولم يكن ليعرف بها أنها ثابتة في فطرته، فلما ذكرته الرسل ونبهته؛ رأى ما أخبروه به مستقرًّا في فطرته شاهدًا به عقله، بل وجوارحه ولسان حاله. وهذا أعظم ما يكون من الإيمان، وهو الذي كتبه سبحانه في قلوب أوليائه وخاصته، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾[٢]

فتدبر هذا المعنى وتأمله؛ فإنه نافع جدًّا[٣].

٣- إثبات الصانع طرقُهُ لا تُحصى، بل الذي عليه جمهور العلماء: أن الإقرار بالصانع فطري ضروري مغروز في الجبلة، ولهذا كانت دعوة عامة الرسل إلى عبادة الله وحدَهُ لا شريك له، وكان عامة الأمة مقرين بالصانع مع إشراكهم به بعبادة ما دونه، والذين أظهروا إنكار الصانع –كفرعون– خاطبتهم الرسل خطاب مَنْ يعرف أنه حق.

٤- لما كان الإقرار بالصانع فطريًّا - كما قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة..»[٤] الحديث - فإن الفطرة تتضمن الإقرار بالله والإنابة إليه، وهو معنى: «لا إله إلا الله»؛ فإن الإله هو الذي يعرف ويعبد.

(١) [سورة يس: ٦٩ – ٧٠].
(٢) [سورة المجادلة: ٢٢].
(٣) انظر: «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (١/ ٢٨٠ - ٢٨١).
(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين (رقم:١٣٨٥)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب القدر، باب معنى: «**كل مولود يولد على الفطرة**»، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (رقم: ٢٦٥٨).

وكان المقصود بالدعوة: وصول العباد إلى ما خُلقوا له مِنْ عبادة ربهم وحده لا شريك له، والعبادة أصلها عبادة القلب المستتبع للجوارح؛ فإن القلب هو الملك والأعضاء جنوده. وهو المضغة الذي إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد. وإنما ذلك بعلمه وحاله، كان هذا الأصل الذي هو عبادة الله: بمعرفته ومحبته: هو أصل الدعوة في القرآن. فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١)

وقال في صدر البقرة - بعد أن صنَّف الخلق ثلاثة أصناف: مؤمن وكافر ومنافق - فقال بعد ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢)

وذكر آلاءه التي تتضمن نعمته وقدرته، ثم أتبع ذلك بتقريره النبوة بقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٣)

والمتكلم يستحسن مثل هذا التأليف ويستعظمه؛ حيث قررت الربوبية ثم الرسالة، ويظن أن هذا موافق لطريقته الكلامية في نظره في القضايا العقليات:

أولًا: مِنْ تقرير الربوبية، ثم تقرير النبوة، ثم تلقي السمعيات من النبوة، كما هي الطريقة المشهورة الكلامية للمعتزلة والكَرَّاميّة والكُلَّابية والأشعرية، ومن سلك هذه الطريق في إثبات الصانع أولًا بناء على حدوث العالم، ثم إثبات صفاته نفيًا وإثباتًا بالقياس العقلي - على ما بينهم فيه من اتفاق واختلاف: إما في المسائل

(١) [سورة الذاريات:٥٦].
(٢) [سورة البقرة:٢١].
(٣) [سورة البقرة:٢٣].

وإما في الدلائل - ثم بعد ذلك يتكلمون في السمعيات مِنَ المعاد والثواب والعقاب والخلافة والتفضيل والإيمان بطريق مجمل.

وإنما عمدة الكلام عندهم ومعظمه: هو تلك القضايا التي يسمونها العقليات، وهي أصول دينهم. وقد بنوها على مقاييس تستلزم رد كثير مما جاءت به السنة؛ فلحقهم الذم مِنْ جهة ضعف المقاييس التي بنوْا عليها، ومِنْ جهة ردهم لما جاءت به السنة. **وهم قسمان**:

- قسم بنَوْا على هذه العقليات القياسية: الأصول العلمية دون العملية؛ كالأشعرية.

- وقسم بنَوْا عليها الأصول العلمية والعملية؛ كالمعتزلة، حتى إن هؤلاء يأخذون القدر المشترك في الأفعال بين الله ﷻ وبين عباده، فما حسن من الله حسن من العبد وما قبح من العبد قبح من الله؛ ولهذا سماهم الناس مشبهة الأفعال.

ولا شك أن هؤلاء هم المتكلمة المذمومون عند السلف؛ لكثرة بنائهم الدين على القياس الفاسد الكلامي وردهم لما جاء به الكتاب والسنة. والآخرون لما شاركوهم في بعض ذلك لحقهم مِنَ الذم والعيب بقدر ما وافقوهم فيه؛ وهو موافقتهم في كثير من دلائلهم التي يزعمون أنهم يقررون بها أصول الدين والإيمان، وفي طائفة من مسائلهم التي يخالفون بها السنن والآثار وما عليه أهل العقل والدين.

والمقصود هنا: أن طريقة القرآن جاءت في أصول الدين وفروعه - في الدلائل والمسائل - بأكمل المناهج.

والمتكلم يظن أنه بطريقته - التي انفرد بها - قد وافق طريقة القرآن: تارة في إثبات الربوبية، وتارة في إثبات الوحدانية، وتارة في إثبات النبوة، وتارة في إثبات

المعاد، وهو مخطئ في كثير مِنْ ذلك أو أكثره، مثل هذا الموضع. فإنه قد أخطأ المتكلم في ظنه أن طريقة القرآن توافق طريقته من وجوه، منها:

الأولى: أن إثبات الصانع في القرآن بنفس آياته التي يستلزم العلم بها العلم به؛ كاستلزام العلم بالشعاع: العلم بالشمس من غير احتياج إلى قياس كلي يقال فيه: وكل محدَث فلا بد له من محدِث؛ أو كل ممكن فلا بد له من مرجح؛ أو كل حركة فلا بد لها من علة غائية أو فاعلية؛ ومن غير احتياج إلى أن يقال: سبب الافتقار إلى الصانع: هل هو الحدوث فقط - كما تقوله المعتزلة؟ أو الإمكان - كما يقوله الجمهور؟ حتى يرتبوا عليه أن الثاني حال باقية مفتقرة إلى الصانع على القول الثاني الصحيح دون الأول.

والصحيح: أن نفس الذوات المخلوقة مفتقرة إلى الصانع، وأن فقرها وحاجتها إليه وصف ذاتي لهذه الموجودات المخلوقة، كما أن الغنى وصف ذاتي للرب الخالق، وأنه لا علة لهذا الافتقار غير نفس الماهية وعين الآنية، كما أنه لا علة لغناه غير نفس ذاته. فلك أن تقول: لا علة لفقرها وغناه؛ إذ ليس لكل أمر علة؛ فكما لا علة لوجوده وغناه: لا علة لعدمها إذا لم يشأ كونها ولا لفقرها إليه إذا شاء كونها.

وإن شئت أن تقول: علة هذا الفقر وهذا الغنى: نفس الذات وعين الحقيقة. ويدل على ذلك: أن الإنسان يعلم فقر نفسه وحاجتها إلى خالقه من غير أن يخطر بباله أنها ممكنة، والممكن الذي يقبل الوجود والعدم، أو أنها محدثة والمحدث المسبوق بالعدم؛ بل قد يشك في قدمها أو يعتقده. وهو يعلم فقرها وحاجتها إلى بارئها، فلو لم يكن للفقر إلى الصانع علة إلا الإمكان أو الحدوث؛ لما جاز العلم بالفقر إليه؛ حتى تعلم هذه العلة؛ إذ لا دليل عندهم على الحاجة إلى المؤثر إلا هذا. وحينئذٍ: فالعلم بنفس الذوات المفتقرة والآنيات المضطرة توجب العلم

بحاجتها إلى بارئها وفقرها إليه؛ ولهذا سماها الله آيات.

فهذان مقامان:

أحدهما: أنها مفتقرة إلى المؤثر الموجب أو المحدث لهاتين العلتين.

الثاني: أن كل مفتقر إلى المؤثر: الموجب أو المحدث؛ فلا بد له منه. وهو كلام صحيح في نفسه؛ لكن ليس الطريق مفتقرًا إليه وفيه طول وعقبات تبعد المقصود.

أما المقام الأول: فالعلم بفقرها غير مفتقر إلى دليل على ذلك من إمكان أو حدوث.

وأما الثاني: فإن كونها مفتقرة إليه غير مفتقر إلى أن يستدل عليه بقياس كلي: من أن كل ممكن فلا بد له من موجب، وكل محدَث فلا بد له من محدِث؛ لأنها آية له يمتنع أن تكون دونه أو أن تكون غير آية له. والقلب بفطرته يعلم ذلك؛ وإن لم يخطر بقلبه وصف الإمكان والحدوث. والنكتة: أن وصف الإمكان والحدوث لا يجب أن يعتبره القلب؛ لا في فقر ذواتها ولا في أنها آية لباريها؛ وإن كانا وصفين ثابتين. وهما أيضًا دليل صحيح؛ لكن أعيان الممكنات آية لعين خالقها الذي ليس كمثله شيء؛ بحيث لا يمكن أن يقع شركة فيه.

وأما قولنا: «كل ممكن فله مرجح وكل محدث فله محدث»: فإنما يدل على محدث ومرجح، وهو وصف كلي يقبل الشركة؛ ولهذا القياس العقلي لا يدل على تعيين، وإنما يدل على الكلي المطلق، فلا بد إذًا من التعيين. فالقياس دليل على وصفية مطلقة كلية.

وأيضًا: فإذا استُدل على الصانع بوصف إمكانها أو حدوثها أو هما جميعًا؛ لم يفتقر ذلك إلى قياس كلي؛ بأن يقال: وكل محدث فلا بد له من محدث، أو كل

ممكن فلا بد له من مرجح، فضلًا عن تقرير هاتين المقدمتين، بل علم القلب بافتقار هذا الممكن وهذا المحدث، كعلمه بافتقار هذا الممكن وهذا المحدث. فليس العلم بحكم المعينات مستفادًا من العلم الكلي الشامل لها؛ بل قد يكون العلم بحكم المعين في العقل قبل العلم بالحكم الكلي العام. كما أن العلم بأن العشرة ضعف الخمسة: ليس موقوفًا على العلم بأن كل عدد له نصفية فهو ضعف نصفيه.

وعلى هذا جاء قوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾؟!

قال جبير بن مطعم: لما سمعتها أحسست بفؤادي قد تصدع[1].

وهو استفهام إنكار، يقول: أوجدوا من غير مبدع؟! فهم يعلمون أنهم لم يكونوا مِنْ غير مُكَوّن، ويعلمون أنهم لم يكوّنوا نفوسهم وعلمهم بحكم أنفسهم معلوم بالفطرة بنفسه لا يحتاج أن يُستدل عليه: بأن كل كائن محدث أو كل ممكن لا يوجد بنفسه ولا يوجد من غير موجد، وإن كانت هذه القضية العامة النوعية صادقة؛ لكن العلم بتلك المعينة الخاصة؛ إن لم يكن سابقًا لها فليس متأخرًا عنها؛ ولا دونها في الجلاء.

ودعوة الأنبياء عليهم السلام جاءت بالطريق الفطرية؛ كقولهم: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2]!

وقول موسى عليه السلام: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾[3]، وقوله في القرآن:

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب التفسير، باب سورة الطور، (رقم:٤٨٥٤).
(٢) [سورة إبراهيم:١٠].
(٣) [سورة الشعراء:٢٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(١) بين أن نفس هذه الذوات آية لله؛ ولما وبخهم بين حاجتهم إلى الخالق بنفوسهم؛ من غير أن تحتاج إلى مقدمة كلية: هم فيها وسائر أفرادها سواء؛ بل هم أوضح.

الوجه الثاني: في مفارقة الطريقة القرآنية للطريقة الكلامية: أن الله ﷻ أمر بعبادته التي هي كمال النفوس وصلاحها وغايتها ونهايتها، لم يقتصر على مجرد الإقرار به، كما هو غاية الطريقة الكلامية، فلا وافقوا لا في الوسائل ولا في المقاصد؛ فإن الوسيلة القرآنية قد أشرنا إلى أنها فطرية قريبة موصلة إلى عين المقصود، وتلك قياسية بعيدة؛ ولا توصل إلا إلى نوع المقصود لا إلى عينه.

وأما المقاصد، فالقرآن أخبر بالعلم به والعمل له، فجمع بين قوتي الإنسان العلمية والعملية: الحسية والحركية، الإرادية الإدراكية والاعتمادية: القولية والعملية؛ حيث قال: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ فالعبادة لا بد فيها مِنْ معرفته والإنابة إليه والتذلل له والافتقار إليه؛ وهذا هو المقصود؛ والطريقة الكلامية؛ إنما تفيد مجرد الإقرار؛ والاعتراف بوجوده، وهذا إذا حصل من غير عبادة وإنابة: كان وبالًا على صاحبه؛ وشقاء له؛ كإبليس اللعين؛ فإنه معترف بربه مقر بوجوده؛ لكن لما لم يعبده كان رأس الأشقياء وكل مَنْ شقي فباتباعه له. كما قال: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾(٢)

فلا بد أن يملأ جهنم منه ومِنْ أتباعه مع أنه معترف بالرب مقر بوجوده، وإنما أبى واستكبر عن الطاعة والعبادة والقوة العلمية مع العملية بمنزلة الفاعل والغاية؛ ولهذا قيل: العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر، والمراد بالعمل هنا: عمل القلب

(١) [سورة البقرة:٢١].

(٢) [سورة ص: ٨٥].

الذي هو إنابته إلى الله ﷻ وخشيته له، حتى يكون عابدًا له.

فالرسل والكتب المنزلة: أمرت بهذا وأوجبته، بل هو رأس الدعوة ومقصودها وأصلها، والطريقة السماعية العملية الصوتية المنحرفة توافق على المقصود العملي؛ لكن لا بعلم؛ بل بصوت مجرد أو بشعر مهيج؛ أو بوصف حب مجمل. فكما أن الطريقة الكلامية فيها علم ناقص بلا عمل. فهذه الطريقة فيها عمل ناقص بلا علم. والطريقة النبوية القرآنية السنية الجماعية فيها العلم والعمل كاملين.

ففاتحة دعوة الرسل: الأمر بالعبادة.

❁ قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

وقالﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله»[(١)]، وذلك يتضمن الإقرار به وعبادته وحده، فإن الإله هو المعبود، ولم يقل: «حتى يشهدوا أن لا رب إلا الله»؛ فإن اسم الله أدل على مقصود العبادة له التي لها خلق الخلق وبها أمروا.

وكذلك قوله لمعاذ: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب: {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم} (رقم:٢٥)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله (رقم:٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب االزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (رقم:١٤٥٨)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (رقم:٣١).

❁ وقال نوح عليه السلام: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾(١)

❁ وكذلك الرسل في «سورة الأعراف» وغيرها.

❁ وقال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(٢)

❁ وقال للرسل جميعًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾(٣)

❁ ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾(٤)

❁ وقال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾(٥)

❁ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾(٦)

❁ وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾(٧)

❁ وقال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾(٨)

---

(١) [سورة نوح:٣].
(٢) [سورة النحل: ٣٦]..
(٣) [سورة المؤمنون:٥١].
(٤) [سورة المؤمنون:٥٢].
(٥) [سورة قريش: ١-٤].
(٦) [سورة الكافرون:١-٦].
(٧) [سورة الفاتحة:٥].
(٨) [سورة هود:١٢٣].

۞ وقال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾[(١)]

۞ وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[(٢)][(٣)].

الوجه الثالث: الطرق الكلامية فيها فساد كثير مِنْ جهة الوسائل والمقاصد:

أما المقاصد: فإن حاصلها بعد التعب الكثير خير قليل، فهي لحم جمل غث على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل. ثم إنه يفوت بها من المقاصد الواجبة والمحمودة ما لا ينضبط.

وأما الوسائل: فإن هذه الطرق كثيرة المقدمات ينقطع السالكون فيها كثيرًا قبل الوصول، ومقدماتها في الغالب إما مشتبهة يقع النزاع فيها، وإما خفية لا يدركها إلا الأذكياء. ولهذا لا يتفق منهم اثنان رئيسان على جميع مقدمات دليل إلا نادرًا. فكل رئيس من رؤساء الفلاسفة والمتكلمين: له طريقة في الاستدلال تخالف طريقة الرئيس الآخر؛ بحيث يقدح كل مِنْ أتباع أحدهما في طريقة الآخر، ويعتقد كل منهما أن الله لا يعرف إلا بطريقته؛ وإن كان جمهور أهل الملة -بل عامة السلف- يخالفونه فيها.

مثال ذلك: أن غالب المتكلمين يعتقدون أن الله لا يعرف إلا بإثبات حدوث العالم ثم الاستدلال بذلك على محدثه؛ ثم لهم في إثبات حدوثه طرق: فأكثرهم يستدلون بحدوث الأعراض؛ وهي صفات الأجسام. ثم القدرية من المعتزلة وغيرهم يعتقدون أن إثبات الصانع والنبوة: لا يمكن إلا بعد اعتقاد أن العبد هو

(١) [سورة مريم:٦٥].

(٢) [سورة البينة:٥].

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢/ ٦ - ١٤).

المحدِث لأفعاله، وإلا انتقض الدليل، ونحو ذلك من الأصول التي يخالفهم فيها جمهور المسلمين.

وجمهور هؤلاء المتكلمين المستدلين على حدوث الأجسام بحدوث الحركات: يجعلون هذا هو الدليل على نفي ما دل عليه ظاهر السمعيات؛ من أن الله ﷻ يجيء وينزل ونحو ذلك. والمعتزلة وغيرهم يجعلون هذا هو الدليل على أن الله ﷻ ليس له صفة لا علم ولا قدرة؛ ولا عزة؛ ولا رحمة؛ ولا غير ذلك؛ لأن ذلك بزعمهم أعراض تدل على حدوث الموصوف.

وأكثر المصنفين في الفلسفة - كابن سينا - يبتدئ بالمنطق ثم الطبيعي والرياضي أو لا يذكره. ثم ينتقل إلى ما عنده من الإلهي. وتجد المصنفين في الكلام يبتدئون بمقدماته في الكلام: في النظر والعلم. والدليل - وهو من جنس المنطق - ثم ينتقلون إلى حدوث العالم، وإثبات محدثه. ومنهم من ينتقل إلى تقسيم المعلومات إلى الموجود والمعدوم وينظر في الوجود وأقسامه، كما قد يفعله الفيلسوف في أول العلم الإلهي. فأما الأنبياء فأول دعوتهم: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»(١).

الوجه الرابع: المتكلمون يقولون: لا يُعرف إلا بالنظر والاستدلال المفضي إلى العلم بإثبات الصانع.

قالوا: ولا طريق إلى ذلك إلا بإثبات حدوث العالم.

قالوا: ولا طريق إلى ذلك إلا بإثبات حدوث الأجسام.

قالوا: ولا دليل على ذلك إلا الاستدلال بالأعراض أو ببعض الأعراض؛

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢/ ٢٢ - ٢٣).

كالحركة والسكون، أو الاجتماع والافتراق، وهي الأكوان، فإن الجسم لا يخلو منها وهي حادثة، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث.

قالوا: وهذا الأصل يشتمل على أربعة مقامات: إثبات الأعراض، ثم إثبات حدوثها، ثم إثبات استلزام الجسم لها، أو أنه لا يخلو منها، ثم إبطال حوادث لا أول لها، وحينئذٍ فيلزم حدوث الجسم، فيلزم حدوث العال؛م لأنه أجسام وأعراض، فيلزم إثبات الصانع؛ لأن المحدث لا بد له من محدث، وهذه الطريقة هي أساس الكلام الذي اشتهر ذم السلف والأئمة له؛ ولأجلها قالوا بأن القرآن مخلوق، وأن الله لا يُرى في الآخرة، وأنه ليس فوق العرش وأنكروا الصفات.

والذامون لها نوعان:

منهم مَنْ يذمها؛ لأنها بدعة في الإسلام، فإنا نعلم أن النبي ﷺ لم يدعُ الناس بها ولا الصحابة ﷺ؛ لأنها طويلة مخطرة كثيرة الممانعات والمعارضات، فصار السالك فيها كراكب البحر عند هيجانه. وهذه طريقة الأشعري في ذمه لها، والخطابي والغزالي وغيرهم ممن لا يفصح ببطلانها.

ومنهم من ذمها؛ لأنها مشتملة على مقامات باطلة لا تحصل لمقصود، بل تناقضه، وهذا قول أئمة الحديث وجمهور السلف، فجاء هؤلاء المتفلسفة لما رأوا هذه عمدة هؤلاء المتكلمين في إثبات حدوث العالم وإثبات الصانع، وتفطنوا لموضع المنع فيها، وهو قولهم: يمتنع دوام الحوادث.

قالوا: هذه الطريقة تستلزم كون الصانع كان معطلًا عن الكلام والفعل دائمًا إلى أن أحدث كلامًا وفعلًا بلا سبب أصلًا.

قالوا: وهذا مما يُعلم بطلانه بصريح العقل.

قالوا: وليس معكم مِنْ نصوص الأنبياء ما يوافق هذا، وأما إخبار الله ﷻ أنه

خلق السموات والأرض في ستة أيام؛ فهذا يدل على أنه خلقها من مادة قبل ذلك، كما أخبر أنه ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾(١) كذلك في أول التوراة ما يوافق هذا.

قالوا: وهذا النص وإن كان يناقض قولنا بقدم العالم، فليس فيه ما يدل على قولكم بتعطيل الصانع عن الصنع(٢).

الوجه الخامس: المتكلمون الذين تلقوا أصل كلامهم عن الجهمية والقدرية ونحوهم، في كلامهم باطل كثير أدخلوه في دين الإسلام، وليس من دين الإسلام، ولم يكن أحد منهم ممن يجزم بسعادته في الأولين والآخرين إلا من المؤمنين المسلمين، كما دل القرآن على ذلك في غير موضع(٣).

فتدبر طرق العلم والعمل ليتميز لك طريق أهل السنة والإيمان من طريق أهل البدعة والنفاق، وطريق العلم والعرفان من طريق الجهل والنكران. والله تعالى أعلى وأعلم.

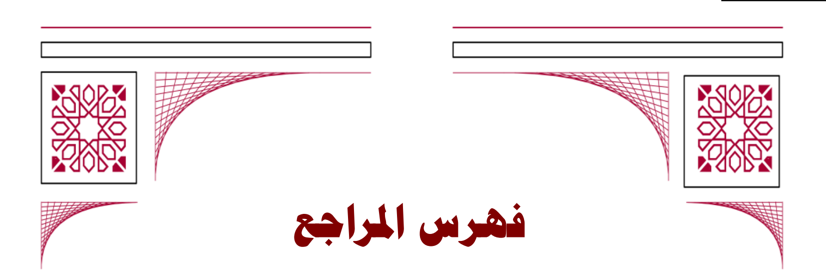
وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.



(١) [سورة فصلت:١١].

(٢) انظر: «كتاب الصفدية» لابن تيمية (١/ ٢٧٤-٢٧٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/ ٣٣٢).



فهرس المراجع

١- الأدلة العقلية والنقلية على أصول الاعتقاد، لسعود العريفي، دار عالم الفوائد. الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للجويني، ت: محمد يوسف موسى، علي عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مصر.

٣- الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام ابن تيمية، لعبد القادر عطا صوفي، مكتبة الغرباء. الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٤- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للبيهقي، دار الآفاق الجديدة، المحقق: أحمد عصام الكاتب، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

٥- ابن حزم وموقفه من الإلهيات، الدكتور أحمد بن ناصر الحمد، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٧- الإقناع لابن المنذر، المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد العزيز

الجبرين، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٨- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، لأبي بكر الباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، عالم الكتب، بيروت.

٩- بغية المرتاد، لابن تيمية، تحقيق: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٠- التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، تحقيق: حامد الفقي، دار المعرفة.

١١- تجريد التوحيد المفيد، للمقريزي، تحقيق: علي العمراني، دار عالم الفوائد، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ه.

١٢- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٣- التفسير الكبير، للرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

١٤- تلخيص كتاب الاستغاثة، المعروف بالرد على البكري، لابن تيمية، تحقيق: محمد عجال، مكتبة الغرباء الأثرية.

١٥- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان آل الشيخ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية.

١٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ السعدي.

١٧- جامع البيان، للطبري، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٨- حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، للسلمي، دار المعلمة للنشر.

١٩- درء التعارض بين العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم،

طبعة: جامعة الإمام.

٢٠- دعوة التوحيد، للشيخ الهراس، مكتبة ابن تيمية.

٢١- رسالة الشرك ومظاهره، لمبارك الميلي، مطابع الجامعة الإسلامية.

٢٢- رسالة إلى أهل الثغر، للأشعري، تحقيق: عبد الله الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم.

٢٣- رسالة في تعريف العبادة، للشيخ بابطين (ضمن مجموعة التوحيد) تحقيق: بشير عيون، دار البيان، دمشق.

٢٤- شرح الأصفهانية، لابن تيمية، تحقيق: محمد السعوي.

٢٥- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، تحقيق: عبد الكريم عثمان، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة، مصر.

٢٦- شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، للشيخ ابن عثيمين، دار ابن الجوزي، مكتبة شمس.

٢٧- شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم، لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد الخيمي، مؤسسة ومكتبة الخافقين بدمشق، نشر: المكتبة الدولية بالرياض.

٢٨- الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة، للشيخ عبد الرزاق البدر، مكتبة الرشد.

٢٩- صحيح البخاري، للبخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٠- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار

إحياء التراث العربي – بيروت.

٣١- الصفدية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ .

٣٢- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، تحقيق: علي الدخيل، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

٣٣- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لابن تيمية، تحقيق: الشيخ ربيع المدخلي، مكتبة لينة للنشر.

٣٤- القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ ابن عثيمين، دار ابن الجوزي.

٣٥- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٣٦- المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي.

٣٧- مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق: عماد عامر، دار الحديث، القاهرة.

٣٨- معالم أصول الدين، للرازي، تحقيق: طه عبد الرؤوف، مكتبة الكلية الأزهرية.

٣٩- مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية، دار النشر : دار الكتب العلمية، بيروت، سنة الطبع : ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، عدد الأجزاء : ٢.

٤٠- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، لعثمان بن علي حسن، دار الوطن.

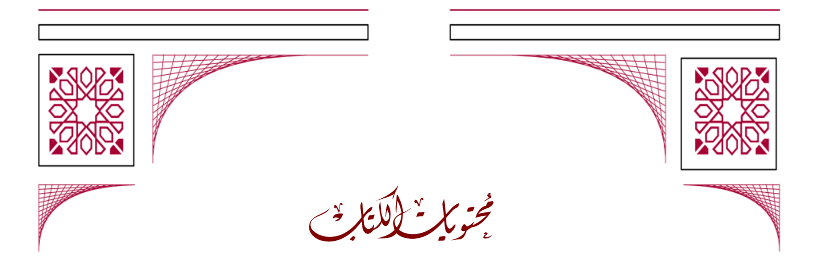
٤١- منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله، لخالد بن عبد اللطيف، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية.

٤٢- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، للمحمود، مكتبة الرشد – الرياض.

٤٣- موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، لسليمان الغصن، دار العاصمة.

٤٤- نقض تأسيس الجهمية، لابن تيمية، مطبعة الحكومة – مكة المكرمة.




محتويات الكتاب


مكتب ابن سلام
للصف والتنسيق الفني
٠٠٢٠١٠٩٨٥٤٦٦٨٢